في تأمل تجربة الكتابة

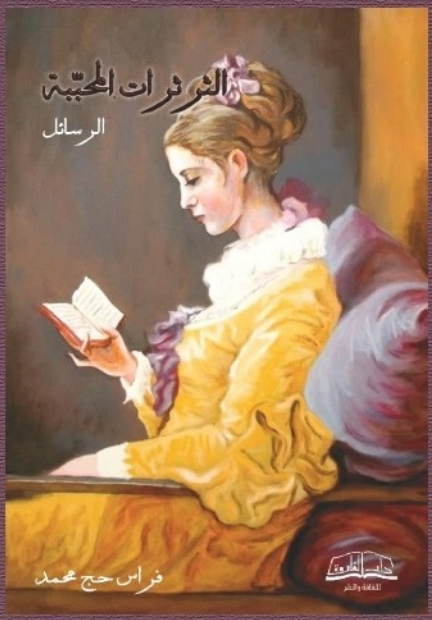

الإضافات المسهبة في الثرثرات المحببة
قراءات في الرسائل

مجموعة من المؤلفين

ناشرون فلسطينيون

الإضافات المسهبة في الثرثرات المحببة

قراءات في الرسائل

في تأمل تجربة الكتابة (2)

الإضافات المسهبة في الثرثرات المحببة

قراءات في الرسائل

مجموعة من الكتّاب

منشورات

ناشرون فلسطينيون: من فلسطين وحدودها العالم

2026

الكتاب: الإضافات المسهبة في الثرثرات المحببة- قراءات في الرسائل

مجموعة من المؤلفين

موضوع الكتاب: قراءات نقدية

الطبعة الأولى: 2026 (إلكترونية)

تصميم الغلاف: الفنانة ميسم فراس

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار ناشرون فلسطينيون

منشورات

دار ناشرون فلسطينيون: من فلسطين وحدودها العالم

للتواصل من خلال البريد الإلكتروني:

publishers.ps@gmail.com

المقدمة

يمثّل جنس "أدب الرسائل" أحد أكثر الأشكال الأدبية إغراءً ومخاطرة في آنٍ واحد؛ فهو يقع على التخوم الفاصلة بين الحقيقة المتعرية والخيالية المبتكرة، وبين البوح الذاتي المحض والتلقي النقدي العام. وفي المشهد الأدبي الفلسطيني والعربي المعاصر، جاء كتاب "الثرثرات المحبّبة: رسائل" للكاتب والشاعر والناقد الفلسطيني فراس حج محمد ليشكل حالة إشكالية فارقة؛ إذ تجرأ على التوغّل في ثالوث محظورات الكتابة الكلاسيكية (الدين، والسياسة، والجسد)، ومارست نصوصه المكاشفة والتعرية الوجدانية بصورة غير معهودة.

ومن هنا تنبع أهمية هذا المنجز النقدي الجماعي المعنون بـ "الإضافات المُسهبة في الثرثرات المحبّبة: قراءات في الرسائل"، ليكون صدىً نقدياً، وتحليلاً تفكيكياً، ومحاولة جادة لسبر أغوار تلك التجربة الرسائلية المثيرة للجدل.

لم يكن هدف النقاد والكتّاب المشاركين في هذا الكتاب التفتيش في السيرة الذاتية للكاتب أو الوقوف السطحي عند الشغف الأيروسي الذي طفحت به بعض الرسائل، بل تجاوَزُوا

السطحَ إلى العمق؛ لتفكيك أبعاد النص المعرفية، والنفسية، والبنيوية، والجمالية، والسياقية.

يضم هذا الكتاب بين دفتيه قراءاتٍ نقدية ورؤى تحليليّة متعددة الزوايا، تضافرت فيها أقلام نقاد وكتّاب واكبوا تجربة الكاتب وعايشوا اشتغالاته الإبداعية كل في موقعه، فقد ناقش الكاتب محمد الشبراوي تأثير الهالة، مستحضراً الشبراوي المقالب الأدبية التاريخية وتأثير الهالة على الحياة الثقافية، وجعلنا وقفته هذه نوعاً من التأطير المدخلي لمناقشة إشكالية الشهرة وموقع الأديب المغمور مقابل سلطة "الأسماء اللامعة"، ومواجهة سلطة النقد والمجتمع بكتابة مستمرة لا تنتظر الثناء.

وفي الوقفة الثانية التأملية والسير ذاتية يتقصى الكاتب حسن عبادي عتبات النص اللوحية والإهدائية، وتسائل الحدود الفاصلة بين "الملكية الأدبية للرسائل" والأخلاقيات، وتكشف رمزية "العشق العذري" المتدثر بلبوس الأيروسية الفاضحة، ورأيه الصريح في الشللية والسلطة والجوائز.

أما رائد الحواري فتفكك قراءته تمرد النص على "سطوة الرواية"، وتطرح فلسفة الأضداد، وموقع المرأة كجرس محفز

للكتابة، وتكشف أبعاد النقد السياسي والاجتماعي والمؤسسي الحاضر في ثنايا الرسائل.

وفي الدراسة النقدية التي أعددناها حول الرسائل فتُفكك خاتمة كتاب الرسائل الصادمة، ونحللها بوصفها صرخة جرح نرجسي وتطهيراً نفسياً بلغة الهجاء والسخط، نافيةً هذه الدراسة عن الكاتب تهمة "الميسجونية" (كره النساء) الاستباقية.

وفي شهادة نقدية مستفيضة على حلقتين للكاتب د. سرمد التايه ثمة معايشة تخترق المظهر الخارجي لنصوص الكاتب، لتكشف التناقضات الصارخة بين البوح والمجون وبين الإيمان الداخلي العميق، وموقف الكاتب الذاتي من مفهوم "النبل" والإيذاء النفسي.

كما تضمن الكتاب خطاب الإشهار الصحفي، وتحليلاً نقدياً عاماً بلغة الذكاء الاصطناعي، لنبين أولا الفرق في النظرة بين الجهد البشري والجهد التقني في تناول الكتاب، وليكون هذا التحليل دليلاً على الموضوعية الخالصة التي لا تحكمها أية خلفيات سياسية أو اجتماعية، كتلك التي حكمت قراءة الدكتور سرمد التايه الذي تبنى وجهة نظر المجتمع، فكان أشبه بمحامي الادعاء، ليثبت التهمة على الكاتب.

وضم الكتاب في قسمه الثالث مجموعة من الرسائل التي لم تنشر في كتاب "الثرثرات المحببة"، لكنها تنتمي إلى المشروع نفسه، وسبق للمؤلف أن نشرها في كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحرب على فلسطين" (دار الفاروق، نابلس، 2023)، وجعلناها تحت عنوان "رسائل لم تسقط سهواً"، ليتكامل مشروع الرسائل هذا، ولبيان انشغالات الكاتب الوطنية والسياسية المتسقة مع انشغالاته الأخرى الفكرية والإبداعية.

في هذا الإصدار تستكمل دار "ناشرون فلسطينيون" دورها في دعم الحركة النقدية الحرة، وتأكيد حقيقة أن أدب الرسائل ليس فناً هامشياً أو بوحاً عابراً، بل هو مرآة تعكس أزمة الثقافة، وسلطة المؤسسة، وهشاشة الذات الإنسانية أمام الحرمان والحرية. إن كتاب "الإضافات المُسهبة" شراكة فكرية بين الكاتب وقرائه النقاد، تصنع مشروعاً نقدياً يثري المكتبة العربية وينتصر لحرية الكلمة وجرأة الطرح.

ناشرون فلسطينيون

آب/ 2026

القراءات النقدية

الكاتب بين مطرقة تأثير الهالة وسندان النقد

محمد الشبراوي

قرأت منذ أيام قصة* للشاعر والناقد الفلسطيني فراس حج محمد، ويستدل بها على قتلى الأدب والكتابة، لكنهم قتلى من نوع فريد؛ فهؤلاء يكتبون ولا يجدون صدى لما يسطرونه، وربما يفضي الأمر إلى اليأس واعتزال الكتابة. فريق من هؤلاء الكتّاب يختارون طريقًا مغايرًا، يثبتون أن المجتمع مسكون بعدوى "تأثير الهالة"، وأن خصومة المجتمع لكتاباتهم مردها إلى أنهم مغمورون؛ فإن سُلطِت عليهم الأضواء، أصبحت كتاباتهم "بقدرة قادر" قمة في الإبداع والعمق والتأثير!

من أرشيف ذكريات الدراسة بكلية اللغة العربية، يحكي فراس أن صديقًا له كان يقرض الشعر، ولم يجد له جمهورًا في أوساط الكلية ومن ثمَّ الجامعة، ومبعث ذلك أن الناس أسرى الأسماء الكبيرة، أما المغمورون فإن فرصهم مع الأسف محدودة.

* في الرد على رسالة الأربعاء: 8-8-2018، ص 108. من كتاب "الثرثرات المحبّبة".

كان هذا الطالب الشاعر مؤمن بموهبته، وإمعانًا في تأكيد موهبته، ارتأى أن يختبر أذواق الزملاء والأساتذة بالكلية؛ فنشر في مجلة حائط الكلية قصيدة هي بنت فِكرِه، إلا أنه ذيلّها بتوقيع محمود درويش. لاقت القصيدة استحسان الأقاصي والأداني، وضرب الشاب أخماسًا بأسداس، ولا عزاء لأصحاب المواهب عند حضور الأسماء الكبيرة، وهذا يجسد التأثير البالغ للأسماء في دنيا الأدب والثقافة، ويحرم كثيرًا من الموهوبين من الحضور، ولعلنا في هذا الإطار نذكر توقف عادل كامل عن الكتابة، وهو الذي فاز بجوائز تقديرية عديدة وبالمناصفة مع أديب نوبل نجيب محفوظ، لكنه استسلم بعدما بعُدت الصلة بينه وبين الشهرة وتأخرت، ولم يواصل على عكس صاحب نوبل الذي كتب دون اكتراث بتأخر الشهرة أو انتظار وصولها من الأساس.

لا تنتظر الثناء على ما تكتب، ولا تتلكأ لتسمع مديحًا من هنا أو هنالك أو هناك، امض وواصل دون تردد؛ فالناس تحكم عليك أحكامًا لا علاقة لها بالإنصاف

الشاعر في مجلة الحائط أراد أن يقطع شكوكه في موهبته، ويفهم هل ركاكة النص ورداءة السبك وكسر الوزن هي السبب أم أن

الناس يؤمنون فقط بالأسماء المعروفة؟ وخلص من تجربته إلى أن الناس لن تعترف بك إلا بعد أن تصبح لامعًا، وقبلها فلا تنتظر أن يشجعك أحدهم أو يثني على عملٍ لك مهما بلغ من الجودة والإتقان. شاعر مجلة الحائط لم يأتِ بجديد، وقد سبقه كثيرون من أهل الفكر والأدب، وليس في ذلك انتقاص من قدر هذا الشاعر، لكن المراد أنه أكد على ما سُبق إليه، وتدخل في نطاق تضافر الأدلة. ولعلك سمعت عن المسرح العبث، وزلزال مجلة الكواكب الذي رمى حجرًا في المياه الراكدة، وأشار لخطورة تأثير الهالة على الحياة الأدبية.

ظهر مسرح العبث بعد الحرب العالمية الثانية، وازدهر في خمسينيات القرن العشرين، ونظرته تشاؤمية معبرة عن الانكسار الذاتي للشخصية الإنسانية. تأثر مسرح العبث بالفكر الوجودي وكتابات جان بول سارتر وألبير كامو، وله مسميات أخرى مثل المسرح الطليعي، واللامعقول، والتجريب، أو مسرح الضد، ومن رواد هذا المسرح صامويل بيكيت، ويوجين يونسكو، وآرثر أداموف، وفريدريش دورينمات. وقد حاول توفيق الحكيم الكتابة على طريقة

مذهب العبث، وكتب مسرحية "يا طالع الشجرة"، ثم تبعه آخرون ينسجون على منواله ويتسيَّمون بسِيمَاه.

في بدايات سنة 1963 ادعى أحمد رجب -محرر مجلة الكواكب يومها- أنه ترجم نصًا مسرحيًا عنوانه "الهواء الأسود" لفريدريش دورينمات، وطلب رجب من أربعة نقاد كبار في مصر (عبد الفتاح البارودي، رجاء النقاش، سعد أردش، وعبد القادر القط) تقييم العمل وتقديمه لقراء المجلة. كتب النقاد عصارة خبرتهم في تقييم العمل المسرحي، وأثنوا على براعة دورينمات في الحبكة وانتقاء الألفاظ، وأفرطوا في التقريظ والثناء، ثم جاءت الطامة على صفحات المجلة! كتب المحرر أن المسرحية من تأليفه، ثم سلط مداد قلمه على النقاد؛ فكانت ضربة قاسية وموجعة للنقاد الكبار وبصورة بشعة.

اتسع الخرق على الراتق بعد أن بالغ أحمد رجب في طرحه؛ فادعى أنه كتب المسرحية في ساعة واحدة، وأنه تعمد كتابه نصٍ لا رابط بين أجزائه ولا هدف من ورائه، كما أنه لا يهدف لإرساء قيمة، أو نقد مثالب مجتمعية، أو قيمية، أو غيرها! وأن الهدف من ذلك هو إثبات ولع النقاد بعقدة الخواجة، ونشر أحمد رجب تحقيقًا

صحفيًا تحت عنوان: "فضيحة الموسم.. أنا المؤلف الأوحد لمسرحية الهواء الأسود". انبرت الأقلام الصحفية تقصف النقاد، ورمى العقاد عن قوسهم وأثنى على شجاعة المحرر، بل ودخل في معركة مع كاتبٍ من سن أحفاده، وهو رجاء النقاش، واعتبر توفيق الحكيم تلك الفضيحة مقلبًا أدبيًا لطيفًا، في حين قال إحسان عبد القدوس: "أتمنى أن يصر النقاد على رأيهم ويرفعوا أحمد رجب إلى منزلة الكتاب العالميين"، وأدلى صلاح عبد الصبور بدلوه قائلًا: "ده أعظم عمل نقدي للنقاد".

دافع النقاد عن وجهة نظرهم بأن المسرحية المختلقة ليست كما أوهم محرر الكواكب القراء، لكنها تقليد دقيق لمسرحية (في انتظار غودو) لصمويل بيكيت، ومبنية على فكرة الانتظار، وأنها أقرب إلى الأدب الرمزي العادي منها إلى فن اللامعقول، وأن هذه الفكرة تتردد كثيرًا في الأدب الأوروبي المعاصر، وهي أكثر شيوعًا في أدب الوجوديين. وقال عبد الفتاح البارودي: "إنها فضيحة فنية للتافه الأوحد"، وقال النقاش: "دي فضيحة لكم وليست لنا"، وأصر أردش على جودة العمل وأنه تأثر واضح بالمسرح العالمي ويستحق الإشادة.

عاشت الحياة الأدبية على صفيحٍ ساخن بعد "مقلب" أحمد رجب في النقاد الأربعة، وأثيرت أسئلة كثيرة حول ملابسات الحكم على المواهب الشابة، وتقيُّد النقاد إلى درجة ما بالإطراء حد الإفراط على المشاهير من الكتَّاب، والزهد في أعمال جيدة وربما ممتازة للمبتدئين. ونصح عدد من كبار الأدباء الشباب بالكتابة دون توقف، وأن يطوروا من طريقتهم وألا يرضخوا للنقد السلبي أو ييأسوا من تأخر شهرتهم أو نجاحاتهم؛ فالكبار لم يصلوا بسهولة ولم يتوقفوا عن الكتابة، وهذا ما هذب كتاباتهم وأثبت قوة موهبتهم.

أفضل العمل أدومه وإن قل؛ فلا تبحث عن مخرج لتتوارى، وابذل نكيثتك وغاية جهدك لتصل إلى حديقة النجاح، والغلبة لمن واصل وصبر

إن كنت على أول الطريق فإليك نصيحة خالصة، لا تنتظر الثناء على ما تكتب، ولا تتلكأ لتسمع مديحًا من هنا أو هنالك أو هناك، امض وواصل دون تردد؛ فالناس تحكم عليك أحكامًا لا علاقة لها بالإنصاف ولا المنطق؛ فلا تقتل موهبتك بالركون إليهم، وكن أحرص الناس على تحسين أسلوبك وتطوير طريقتك، واستشر من

تثق في صدق نصيحته ولا تأخذك العزة بالإثم إن صادفت نقدًا صادقًا أو توجيهًا مخلصًا، المهم أن تستمر وألا تُحبط أو تتراجع، وقد أبدت الرغوةُ عن الصريح.

كان الكاتب الكبير صاحب قفشات ومقالب أدبية ساخرة، وقد عاود الكرة مرة بعد مرة، وأحدث ضجة في الوسط الأدبي والفني بتقريره عن الهواء الأسود، وقد سبقها بواقعة أخرى كان ضحيتها عدد من الكتَّاب المعروفين؛ فاختار مقالًا قصيرًا وقديمًا لتوفيق الحكيم، وعرضه على عددٍ من الكتاب والصحفيين على أنه بقلم أديبة ناشئة، وطلب منهم التعليق على هذا المقال.

قال عباس محمود العقاد: "هذه سطور كاتب في منتصف الطريق يستحق التشجيع"، وقال إحسان عبد القدوس: "أفكار قديمة وأسلوب غير صالح للنشر"، أما أنيس منصور قال: "والله أسلوب مش بطال"، لكن علي حمدي الجمال قال: "صفر على عشرة" أما أحمد بها الدين فقال: "هذا هو أسلوب توفيق الحكيم!". نشر أحمد رجب رأي هؤلاء جميعًا تحت عنوان: "آراء صريحة جدًا في أسلوب توفيق الحكيم".

تأثير الهالة أشبه ما يكون -لدى الغالب الأعم من الناس والنقاد- بالأرقام القياسية، ليس من اليسير تجاهلها، وهي صعبة الكسر ويملك أصحابها امتيازات كبيرة. ستشعر بالفخر إذا حققت رقمًا قياسيًا، ولا يمكن تصور شعورك بالمرارة لو سُحِبَ منك هذا الإنجاز دون وجه حق، وأقول ذلك للتنبيه على نقطة مهمة، وهي أن الوصول للرقم القياسي وتأثير الهالة لم يأتِ عفوا صفوا، ويحق لأصحاب الأرقام القياسية أن يفخروا بما قدموه، ولك أن تبذل وسعك وتصرف عنايتك في فنك، ولا تتلهف للشهرة فلها وقتها، وفي ذلك ما يُخرجك عن غيظك ويضعك على جادة الطريق، ولكل مجتهدٍ نصيب؛ فلا تيأس.

الكاتب الكبير كان مبتدئًا يوما ما، وحقق نجاحه بمتابعة مشوراه لأنه تابع مسيره، لم يقف طويلًا عند مواقف الخيبة والانكسار، مسألة سيكولوجية تصنع فارقًا بين النجاح والضياع، ومع أنها قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى إلا أنها مؤثرة للغاية، وأفضل العمل أدومه وإن قل؛ فلا تبحث عن مخرج لتتوارى، وابذل نكيثتك وغاية جهدك لتصل إلى حديقة النجاح، والغلبة لمن واصل وصبر.

برح الخفاء وانكشف الغطاء؛ فإياك النكوص والبكاء، والبحث عن سرابٍ بعد ماء؛ فدونك الجهد والعرق، واطرح التجهم والقلق، فلو صحّ منك الهوى أُرْشِدْتَ للحيل، ومن شواهد النجاح ألا تَمَلَّ العمل، ومن رام أمرًا راش له سهم الأمل، ومن طلب شيئا وجده وعلى الله المُتَّكَل.

مَحَضْتُكَ النُّصْحَ عن خُبرٍ وتَجربةٍ واللهُ سُبحانَهُ الهادي إلى الرَشَدِ

وقفة مع كتاب "الثرثرات المحبّبة – الرسائل"

حسن عبادي

وسم فراس حج محمد كتابه "الثرثرات المحبّبة": رسائل (292 صفحة، صممت الغلاف الفنانة ميسم فراس، لوحة الغلاف: "قارئة الحسناء" (La Liseuse) للفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد، الصادر عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس).

لفتت انتباهي لوحة الغلاف كعتبة نصيّة أولى؛ لوحة رُسمت بالزيت على القماش عام 1776، لفتاة جالسة على الأريكة جلسة مستقيمة، عكست جمال المرأة حين تحمل كتاباً، تقرأه بشغف، لا لدراسة أكاديميّة بحثيّة، بل من أجل المطالعة، لا غير.

وكذلك حال الإهداء كعتبة نصيّة، يخصّ به نساءه، وهن كُثُر "إلى كلّ امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحبّ والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهي، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله..."

يضم الكتاب مجموعة من الرسائل (حوالي 150 رسالة) التي كتبها فراس إلى مجموعة من الشاعرات والكاتبات؛ لم يبُح بأسمائهن، بل

عاد للعبة الحروف وأشار لكلّ منهن بحرفين من اسمها، سبعُ نساء: "أميرة الوجد (ش. ح)، صوفي، ف. ع، ل. م، إ. س، ر. غ، ص. ز". وتبدو للوهلة الأولى رسائل عشق ومجون وفُحش، ولكن حين قراءتها بتأنّ وتمعّن وجدتها ذات بعد فلسفيّ عميق، تتناول مواضيع اجتماعيّة وسياسيّة وأدبيّة وتربويّة، يحاول إيصالها عبر أجساد "نسائه"، ضحايا؛ كنّ شمّاعات يحاول عبرهنّ رمي سهامه الفلسفيّة وأفكاره لعلّها تصيب، وكلّما هربت منه إحداهن يصطاد بديلة لها، وعلى الرغم من تحفظّ غالبيّتهن إلا أنّه يتصرّف وكأنّ من حقّه نشر غسيلهما، وما يدور بينهما، على الملأ، ويقولها بصريح العبارة "أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر".

حين قرأت الكتاب استوقفني ما كتبه "صديقي المقرّب يقول لي... فالفولة لا تُبلّ بفمي، بمعنى أنّ كلّ شيء أسمعه أحوله إلى موضوع كتابيّ. الأمر مزعج مؤذٍ، هذا ما يريد أن يقوله لي صديقي، فهو دائماً حذر في الحديث معي، لأنّني سأقول كلّ شيء يوماً ما وأكتبه، فلذا

فأنا مصدر قلق وأذى له ولغيره من الأصدقاء". (ص 236) وأترك الأمر للقارئ كي يحسم أمرهما!

راقت لي نظرته للسلطة وموقفه الثاقب منها؛ "الوطن كلّه لعبة للفاسدين، وعزبة للمسؤولين، لكن "الحق كله علينا" نحن الذي نصّبناهم علينا، يجب علينا أن نثور ضدهم قبل أن نثور ضد المحتلين، فلا حريّة لنا دون أن نتحرر من فسادهم وإفسادهم، لقد بتّ على قناعة أننا نعيش تحت ظل نظام عربي فاشل وغبي وانتهازي، ولا يمتلك أي نوع من الحكمة، يواصل مسؤولوه تقاسم الوطن المنهوب أصلا. كأنه لا يكفينا احتلال واحد، ليجتمع علينا شرّان متحدان ضدنا. نعم إنهما متحدان ضدنا والله، وإنهما في وئام معاً ومتفقان علينا لإذلالنا". (ص 225)، وللسياسة، وموقفه المعارض لما يجري على الساحة الفلسطينية، حضور عبر رسائله.

تناول الكاتب ظاهرة الشلليّة المقيتة المتفشّية في عالم الأدب والأدباء، العلاقة بين الكتّاب والناشرين في العالم العربي وظاهرة (ادفع تطبع)، والجوائز الأدبيّة وركض الكتّاب صوبها وأثرها على تردّي المستوى الأدبي، ما يجري في اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين والانتخابات لمؤسساتها والكوتة الفصائليّة المقيتة،

وأثر مقالته "الشعراء الصراصير" على فشله في الانتخابات، حسب تصوّر صديقي إياد شماسنة، ظاهرة "الحذف" السلطوي الرخيصة المقيتة "لقد تم حذفنا جميعا: أنا وحسن ولينا كليّة من المشهد، فقد قصقصوا التقرير الذي أعددته ونشروا ما يخصهم، هذا الفعل ينم عن وقاحة بالفعل (ص 196) (بسيطة يا فراس، والله متعوّدين عليها... وأكثر)، المثقّف الموسمي (ص 126)، دوره في مواكبة ومرافقة وتشجيع الأقلام الصاعدة، الشاعر لطفي مسلّم مثالاً، علاقته بالأصدقاء، الرائد رائد الحواري مثالاً، وشبح أستاذه عادل الأسطة يلاحقه في كلّ زمان ومكان.

فراس قارئ ومثقّف لأبعد الحدود، لكنّه مصاب بهوس العظمة والعظماء والتقرّب من عالمهم؛ وتروق له رِفقة فرناندو بيسوا وأوفيليا، فدوى طوقان وسامي حداد، فرانز كفكا وميلينيا، جبران ومي زيادة، هنري ميلر الثمانينيّ وبرنتا الثلاثينيّة، الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر واليهوديّة حنه آردنت، وغادة السمان تتقلّب بين أحضان غسان كنفاني وأنسي الحاج، والفارق بينهم أنّ فراس يودّ تخليد مُراسلاته في حياته وليس في مماته كمن سبقوه.

صوّر الكاتب بحرفيّة مشاهد جنسيّة بورنويّة فاضحة من خلال تراشق الرسائل بينه وبين (ش. ح.) أو كما يحلو لهه تسميتها "أميرة الوجد"؛ حيث كتبت له: "أردنا الوصال... بدأ الوصال بحجمه الكبير ويكبر ويكبر يريد غمده ليغلق منافذه يركض نحوه مندفعاً بخوذته، يرتفع الصراخ وتعلو التأوهات يستمر في محاولة الاستقرار، يخرج ليتنفس ويعاود الكرة، يهتز ويهز الجسد، استقراره لا يكون سوى بتدفق الدفء وسيلانه"، ويجيب على رسالتها: "... تتقدم خطوة أخرى فتصف الإيلاج وكيف تشعر فيه داخلها، وقد انتفخ العضو وامتد ليسد منافذ الوردة القطنية، يكبر ويكبر، يحشر نفسه فيها ليعطيها إحساسا بالامتلاء والانتفاض والهزة الكاوية. لتصل إلى اكتمال العملية" (ص 21-22). والله كثير هيك يا فراس!

جاءتني رحلته الجنسيّة الماجنة مع (ش. ح) (نعم؛ ذات الأميرة الماجنة!) لأربع ليالي فندقيّة، كلّها لذّة ونشوة ووصل وجماع "أولجت فيها ثلاث مرّات، وفي كلّ مرّة أرى دمها عليّ، أسترجع تلك اللحظة كيف كانت نشوتها لا يمكن وصفها، ارتبكنا معا، لنعرف في الصباح أنه كان دم بكارتها". (ص 101 في كتاب سابق له "متلازمة ديسمبر")

تناولت في حينه ديوانه الشعريّ "على حافة الشعر: ثمة عشق وثمة موت" ولفتت انتباهي خمريّته، حضور النبيذ والخمرة في الديوان، وتساءلت بيني وبيني عن العلاقة بين الدين والخمر وأشعاره، فوجدتها "خمراً عذرياً"، خمريات رمزية، مجازية، وكأنّي بها مناجاة الذات الفراسيّة والذات الإلهية، والتعبُّد، كأنّي به "الحبّ الإلهي"، إن جاز التعبير، وجدت الخمر عنده رمزاً لرغبته في الانتشاء والشعور بالسعادة، وتدلّ على رغبته في التمرّد والمشاكسة الفراسيّة، وها هو في هذا الكتاب يقولها بصريح العبارة أنّه لم يذق طعم الكحول.

وهنا أكاد أجزم بأنّ العلاقات الجنسيّة الإباحيّة مع مُراسلاته عبر الرسائل ما هي إلا "جنس عذريّ" إن صح التعبير، وكأني بـ(ر. غ)، أو غيرها، يتقلّبن في فراشهن ينتظرن تلك القبلة و/ أو ذاك الجماع المتخيّل، مع زير النساء، فراس، عبر الكيبورد، وأراد الكاتب تمرير فلسفته عبر نهودهن وأجسادهن وعبر تلك القبلة المشتهاة يقصّر المسافات ويسهّل إيصال الفكرة.

لا بدّ من وقفة مع الرسائل المتبادلة بين الكاتب وصوفي (ص 255-260)؛ حيث وجدت لها ميزة خاصّة وبعداً آخر؛ تبدّلت الأدوار فهي

من اتخذت القرار، وحدها، وما كان له إلّا أن يستسلم راضياً مرضيّاً، رفعت لها القبّعة حين حطّت الحد عالجُميّزة وكتبت: "أعرف أن القرار الذي اتخذته اليوم سيكون صعبا على كل من حولي، بل وصعبا عليّ، لكنّي أمّ أولا وآخرا، وكل همي أن أسلّم الأمانة وأنا مطمئنة وراضية، لقد قررت اليوم العودة إلى زوجي والد أبنائي، اعترضت العائلة كلها على هذا القرار لكني أعرف تماما أن هذا هو ما يجب أن يكون، لا أريد أن يموت أحدنا وقلب أبنائي ممزق بالشكوك والظنون، لا أريد هذا الشتات لأطفالي، لقد رأيتهم كيف يضيعون مني، تائهون بيني وبينه، خاصة بعد فحوصاتي الأخيرة وبدء انتشار المرض" (ص 257)... وهذا كلّه رغم أنها تقول: "يدفعني إليه، ينتصب فوق أحلامي وشغفي أمنحه جسداً فائضاً بالشهوة، وأشعل له لهيب غنجي ودلالي، أغرز أظافري لذة في ظهره ويمنحني كثيرا من القبل. أباعد بين شجرتين عالقتين في جسد الحب... فيهتز الكون" (ص 260). يا لها من إيروسيّة فاضحة، وأكاد أجزم، ثانيةً، أنّهما لم يلتقيا البتّة وما زالت تنتظر تلك القبل الموعودة المشتهاة. يا له من جنس فاحش صاخب، ولكنّه بقي عذرياً.

همسات لا بدّ منها: لم يرق لي لبسه قبّعة المرشد التربوي والمُريد لتمرير فلسفته الحياتيّة بنصوص موجِّهة، بعيداً عن كاتباته وشاعراته وغزله العذريّ الفاحش والنص وبمعزل عن مجرياته.

كما ويظهر جلياً نرجسيّته المفرطة، (ع فكرة، مش غلط).

تبيّن الرسائل علاقة الكاتب السمبيوزيّة بقرّائه وما يكتبون عنه، وهوسه بالبحث والغوغلة عمّا يُكتب عنه وعمّا يُنشر له هنا وهناك وفي كلّ مكان، فله حضوره اليومي عبر الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك متابعته الحثيثة، المرضيّة أحياناً، لإصدار ونشر كتبه.

راق لي ما كتبته الصديقة مادونا عسكر "الأستاذ فراس أستاذنا كلنا. يعلّم ويوجّه ويمنح من خبرته دون غاية، ما لا نجده إلّا نادراً في زمن المصالح على جميع المستويات"، والصديق المقدسيّ إبراهيم جوهر: "هذا الفتى الطّريد المشاكس (فراس) يكتب بوعي وحزن كبيرين ليعرّي المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة...!"

وأخيراً؛ كم أتوق للقاء يجمعني بفراس وكافكا ونيتشه!

الإثراء الثقافي والثراء الإنساني في كتاب "الثرثرات المحبّبة-الرسائل"

رائد الحواري

في عصر تفشي طباعة الكتب، وبعد أن أصبح متاحا لكل من يمتلك المال طباعة ما يكتب، أمسى القارئ في مهب الريح، فمن كل عشرة كتب لا يجد كتابا واحدا ذا قيمة، والباقي مجرد (هذيان) يمغص القلب ويوجع الرأس. وفي عصر سطوة (الرواية) على الأجناس الأدبية الأخرى، قل نصيب هذه الأجناس، إن كان من خلال الإنتاج، أو من خلال تناول تلك الأعمال، من هنا أصبح حالنا مزرياً، فلم نحسن كتابة الرواية، وضيّعنا الأجناس الأدبية الأخرى.

"فراس حج محمد" يقتحم هذا الواقع البائس، ويقدم جنسا أدبياً؛ "الرسائل"، رغم أن القلة القليلة كتبت فيه، وهذا يمثل (مغامرة) أدبية تتجاوز المألوف، وما هو سائد، على صعيد الإنتاج وعلى صعيد القراء.

الكتاب كبير الحجم يقارب ثلاثمائة صفحة، وحجم كبير، وخط 12 أو 14، وهذا ما (أرهق) القارئ صاحب النظر الضعيف، لكن، ورغم

هذه الإشكالية في حجم الخط، إلا أن مضمون الرسائل، والشكل الأدبي الذي قدمت به، والأفكار التي تحملها، وحالة (التخيل) الحاضرة فيها، ووجود شواهد (واقعية/ حقيقية) ووجود أفكار فلسفية حول العديد من القضايا الأدبية والفكرية، تجعل "الثرثرات المحبّبة" كتاب العصر، كتاب جديد على مستوى الشكل والمضمون، كتاب ممتع وشائق رغم أنه خارج (سطوة الرواية) حتى إننا نجد فيه (صراعاً) بين حقيقة الرسائل وتخيل/ افتراض المرسل إليها، فليس كل من يقف وراء هذه الرسائل شخصيات حقيقية، هناك العديد منها متخيل، وغير واقعي، وهذا ما سنتوقف عنده لاحقا.

الرواية:

"فراس حج محمد" يوضح أن كتابة الرواية مسألة صعبة، وتحتاج إلى مهارات استثنائية. في إحدى رسائله يرد على من يدعونه إلى كتابة الرواية بقوله: "أسأل نفسي لماذا الرواية؟ هل واجب عليّ إذ أحسن السرد أن أكتب رواية؟ ولماذا لا أصنع شكلي الخاص بي؟ لا أدري ما سيكون... ولماذا عليّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما تشتهي الكتابة ذاتها؟ ولماذا عليّ الخضوع والخنوع اللاواعي لفكرة الكتابة لإرضاء

الذوق الثقافي العام؟ أريد أن أكتب ما أحلم به من شيء حلمت به، لعله يكون مشروعا، أكره الانزلاق إلى ما يطلبه السوق الثقافي" ص 10، هذا المقطع يجيب على تساؤلات القراء الذي يريدون من الكاتب/ الأديب أن يكون تحت (الطلب) يلبي رغباتهم، لكن "فراس" يرد عليهم، بأن الكتابة هي (السيدة المطلقة) وهي من (تتحكم) فيما يقدمه، وهو يريد أن يكون ذاته المنفردة عن الآخرين، ولا يريد أن يكون تابعا/ خاضعا/ طائعا لأي كان، فالحرية أساس أية كتابة، كما أن الكتابة بحد ذاتها هي من يتحكم فيما يقدمه الكاتب/ الشاعر/ الروائي/ القاص.

اللافت في هذا المقطع أن "فراس" يؤكد ضرورة أن يكون الكاتب ذاته، إن كان على مستوى الشكل، الجنس الأدبي، اللغة، المضمون والفكرة، فكلها يجب أن تكون نابعة من الكتب وإلا سيمسي حاله كحال الغراب الذي حاول أن يتعلم طير الحمام، فلم يفلح، وعندما حاول استعادة طيرانه نسيه، هذا حال العديد من الكتاب الذين يحاولون تقليد الآخرين.

هناك عناصر يلجأ إليها الأدباء وقت الضيق/ الشدة يعبّرون بها ويعبرون فيها نحو الفرح، وهي المرأة، الكتابة، الطبيعة، التمرد،

"فراس حج محمد" يؤكد حقيقة هذه العناصر من خلال حديثه عن الكتابة: "وعلمي أن الكتابة شفاء من الوهم بالوهم" ص 93، فالكتابة بحد ذاتها تمثل علاجاً ووسيلة شفاء، وهذا المقطع سنعتمده لاحقا، في البحث عن واقعية/ حقيقة المرسل لهنّ، وبين تخيلهن.

ويتحدث عن حال الكتابة والظرف الذي يجب أن تكون فيه: "إن فعل الكتابة يشبه تماما الفعل الجنسي، إنها عملية سرية، تحدث في الخفاء... كل الكتاب عندما يكتبون ينعزلون عن العالم، إنهم يدخلون طقوس المضاجعة بين القلم والورقة، لتحدث تلك العملية البارعة، المسماة الكتابة" ص 122، هذه الرؤية تمثل رؤية فيلسوف، رؤية حكيم، رؤية محترف كتابة، وهذه النظرة أيضا سنستفيد منها في إيضاح طبيعة المرسل لهن، هل هن نساء حقيقيات أم متخيلات؟

وعن الرسائل والشكل الذي استخدمه "فراس" ليرضي المرسل لها يقول: "إن الكتابة بحاجة إلى خبرة وتجربة، ومتعة في الصناعة والخلق، اصطدمي أكثر، لتنبجس الأفكار حرة وشهية وطازجة... إن الإقناع يفترض أنك أصبحت داخل العمل، وأن القارئ يتخيل

نفسه" ص 137، هذه (توجيهات/ النصائح) لا تأتي إلا ممن هو خبير ومحترف كتابة، فالعلاقة بين الكاتب والنص يجب أن تصل إلى حالة الحلول/ التماهي عندها يقتنع القارئ بما يقدم له، أو بالأقل تصله فكرة الكاتب بأفضل ما يكون، وهذا ما يجعل الرسائل ذات قيمة، بالمنسبة للقارئ وبالنسبة للمرسل لهن.

والكتابة عند فراس كالنبوّة، كالرسالة السماوية التي ينشرها الرسل دون أن يكون لهم هدف مادي/ تجاري، فهدفهم (إيصال) رسالتهم للآخرين وحسابهم، وثوابهم عند الله عز وجل. يرسل له أحد الأشخاص مادة مكتوبة، ويريد من "فراس" أن يقوم بصياغتها أدبيا، مقابل أجر مادي (محرز) يرد عليه فراس: "متى كانت الكتابة مشروعا اقتصاديا للكاتب الحقيقي؟ يا صديقي أنا لست تاجرا، أنا كاتب، لست كاتب عرائض قانونية لأحصل على أجر مادي فقط" ص 165، هذا الرد ليس على هذا الشخص فقط، بل هو رد على كل من يبيع قلمه بالمال، ليكون نارا على أهله وشعبه وأمته، فالكتابة يجب أن تبقى (نقية) بعيدة عن التلوث والبيع والشراء.

وهذا يقودنا إلى ضرورة أن يتم التعامل مع النص الأدبي ككتاب مقدس، لا يجوز الزيادة فيه أو النقصان منه، وإلا أمسى كتابا مشوها لا يعرف من أي أب/كاتبٍ جاء.

الجسد والكتابة:

يتعامل فرس مع جسد الأنثى كباعث/ محفز/ منشط/ مُوجد للكتابة، يقول في إحدى رسائله: "أحسّ بجسدي يلامس جسدك، عبرت رائحتك في أعماقي... بي رغبة شديدة في مضاجعتك... أستحضر رائحة أنوثتك كما أتصورها وأنت للتو مبتلة بماء الشهوة الدافئة... أيتها المنحوتة من صخر صبري فتتي الكلمات في لغتي، أعيدي اختلاق الزمن، واكتبي الحكاية من جديد" ص 81، فالجسد هنا له بعدان/ أثران، بعد جنسي، وبعد كتابة، فاللقاء الجسدي يثري اللغة عند فراس ويفجرها، وأيضا يعطي مساحة للأنثى لتكون جزءا من الكتابة ومشاركة فيها، وهذا ما نجده في هذه الرسائل التي وجدنا فيها ما كتبته له حبيباته.

الرسائل:

الرسائل بالنسبة لفراس مشروع أدبي، رغم أنه يحاول أن تكون (توثيقا) لعلاقاته الكثيرة مع النساء، فهو من خلال الرسائل يتماثل مع صانع العطر الذي يعتبر أجساد النساء أفضل مادة لصناعة العطر، "وفراس حج محمد" يعتبر النساء أفضل مادة للكتابة، فالكتابة بالنسبة له (غاية تبررها الوسيلة) تخاطبه إحدى النساء: "أنت تلحق الأذى بكل من عرفك" ص 235، وتقول له أخرى: "يا لك من كاتب، لم توفر أحدا، خف عنهم يا زلة" ص 235، وهو يعترف ضمنا بحقيقة قولها: "يبدو أن كلامها صحيح نوعا ما، فالكتابة تثير المتاعب والمصاعب" ص 235، ومع هذا هو مصرّ على الكتابة حتى لو نالت ممن عرفهن من النساء، فالكتابة بالنسبة له هدف سامٍ، يجب على النساء أن يضحين بأنفسهن في سبيلها.

لكن بالنسبة له فهو (إله)، خالق للكتابة، ومن حقه أن يستخدم أية مواد يجدها مناسبة فيما يصنعه، يتحدث عن هذا الأمر من خلال هذا المقطع: "لم أشعر بالتعب وأنا أقرأ، ولذا قررت ألا أحذف تلك الرسائل... ألّا تمتلئ لغتي بالحنين... سأتخذ زينتي عند كل رسالة أكتبها، سأغتسل، وألبس ملابسي الأنيقة، وأتطيب، وأسمع قدرا كافيا من الموسيقى، وأدخن، أشرب فنجانا من القهوة بلذة النشوة

الأولى، وأجلس إلى مكتبي وحاسوبي الشخصي، وأبدأ بالهذيان وثرثرة الكتابة كأنك هنا" ص 68، هذا شيء من حقيقة كتاب "الثرثرات المحبّبة، الرسائل" فهو مشروع أدبي أكثر منه حديث (عاشق وله)، عاشق (مجنون)، عاشق يردنه كل نساء الأرض ليكون لهن، فهو يظهر نفسه على أنه "جون دوان" عصره، لكنه في حقيقة الأمر يتخذ النساء مجرد مشروع كتابة ليس أكثر، مشروع أدبي له، وما هذا الكتاب وما فيه من شواهد إلا أحد الأدلة: "هي ذاتها التي تعتقد أنني "كاتب غير نبيل" لو قمت ونشرت ما بعثته لي من رسائل، ولو حرفا واحدا منها، سأقوم بنشرها بالتأكيد في الوقت المناسب في كتاب، فكل ما كتب لي فهو من حقي، وأتصرف فيه كيفما أرغب وأشاء" ص 235، هذه حقيقة "فراس" أنه (يقتل النساء) ليكتب بهن وعنهن، أليس كل ما يكتب عن المرأة مثيرا للقراء!؟ لهذا جعلهن مادته الأدبية، فمنهن يستخلص اللغة التي تثير الأخريات ليقعن في (حبائله) الأدبية، ومن ثم يستمر في الكتابة الأدبية، إنه صانع العطر الأدبي، فكلما قتل من النساء أكثر، كان جودة ما يكتبه ويقدمه أكثر.

التخيل:

من يقرأ الكتاب يتأكد أن التخيل كان حاضرا وبقوة فيه، فليست كل الرسائل حقيقية، وليست كل رسالة واقعية، هناك مساحة من التخيل أضافها "فراس" لتكون رسالة متألقة أدبيا، وهذا ما قاله آنفا وبوضوح.

يخاطب فراس الحبيبة المتخيلة بلغة العاشق الوله، ليرفع من مكانة الكتاب الأدبية، وليزيد المتلقي إثارة ومتعة: "كلي مشتاق لكلك... إنني أتوجع يا وجعا لا أستطيع تحمله".

"ها نحن أيتها الحبيبة على مشارف الوعد، فلا تجعلي المسافة أطول مما هي، فتعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي... أشم رائحة النشوة في صدرك وفي وردتك الناضجة وفي سمرة جسدك المشوب بالزهرة الناعمة... لقد امتقعت بمائي مرتين وأنا أكتب لك" ص 243، هذه النشوة الجسدية والعاطفية تأتي من باب حرص الكاتب على تقديم ما هو متميز، ، لهذا (تخيل) حضورها ولقاءها فكانت هذه اللغة وسيلته لجذب القارئ لما يقوله في رسائله، وما حديثه عن تفريغه لمائه إلا من باب إحداث دهشة للقراء/ القارئات الذين سيغوصون بهذا الحديث الجاذب والمثير والممتع.

"فراس" قارئ نهم، ويعلم جيدا كيف يجذب القارئ لنصوصه وكتبه، وبما أن هناك جيلا من (المراهقين والمراهقات) يسعون وراء الإثارة، فقد أوجد مجموعة كبيرة من الرسائل تتحدث بوضوح عن اللقاء الجسدي: "وتتأبين عليّ في مساء مفخخ باشتياق رؤيتك عارية كقطعة ماس مبتلة بماء الشهوة الحارقة، فيا الله كم أشتاق رائحة فرجك، حلمت بك كثيرا، وتصورتك فيّ طويلا، تحسست جسمك كله، ردفيك العاليين... صدرك الفارة كصحن كنسية عالية، نهديك المنتهين بحلمتين مولهتين" ص 183 و184، مثل هذه المشاهد لا يمكن أن تكون، أن تأتي ضمن رسالة يبعثها حبيب لحبيبته، مهما كانت العلاقة (حميمية بينهما) لكن "فراس" أوجد مثل هذه المشاهد من باب جذب القارئ والقارئة لكتابه، وجعلهما يغوصان فيما يقدمه من إثارة، فهدفه إيجاد كتاب جاذب، مدهش، صادم/ مثير مهما كانت الوسائل التي يستخدمها والأدوات التي تشكل مادته الأدبية، فإذا كان قد (كشف) نفسه للقراء في سبيل وجود "الثرثرات المحبّبة" فلن يكون أمامه أية عوائق تحول دون قيامه بفعل الكتابة.

يبرر "فراس" كثرة الحبيبات اللواتي عشقهن، فهو كان يبحث عن حبيبته الأولى فيهن: "الخراب هذا، أنت من فعله والله، وكنت أحاول

أن أنساك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحبب منهن أي واحدة" ص 185، فهو يعمل باحتراف في جعل كتابه "الرسائل" كتاباً مثيراً، استثنائياً، وهذه إحدى الوسائل التي يستطيع فيها (إبقاء) الحبيبة حاضرة، وجعل المتلقي متلهفا لمعرفة المزيد عن هذه العلاقة وهذه الحبيبة.

أفكار الكاتب عن الجنس:

فراس يعمل جاهدا على تقديم ما هو جديد، من هنا وضع رؤيته، فلسفته في العديد من الأشياء، فهو يرى الجنس وما فيه من (قسوة) برؤية أخرى: "فعندما يلج الحبيب إلى حبيبته عبر الرحم، في ممارسة الجنس، إنما هو يريد أن يلتحم بها روحيا وجسديا، وكأنهما يريدان أن يعودا إلى ما كان عليه قبل أن ينفصلا... لذلك إذا لم تتجاوب الروح مع الجسد ستكون العلاقة حيوانية مقرفة... أرأيت مثلا لماذا الاغتصاب جريمة إنسانية أولا قبل أي شيء؟ لأنها تدمر الذات، وفيها فعل إكراه وإجبار على إدخال ما هو غريب عن الروح إلى جسد يأباه هذا الجسد" ص 49، مثل هذه الرؤية تبين العلاقة السوية بين الحبيبين، ولماذا يسعيان إلى التماهي الجسدي،

بينما في حالة الاغتصاب يكون الفعل من طرف واحد، وهذا ما يجعله مضرا نفسيا وجسديا للمفعول بها.

ويتوغل أكثر في هذا الرؤية بقوله: "فعندما يتعرى الرجل أمام المرأة أو تتعرى المرأة هي أمامه فذاك يعني أنه لا حواجز بينهما، سينهار الحاجز الديني، والاجتماعي، والجغرافي، وصولا إلى الحاجز اللغوي، عندئذ سيتحدثان ببساطة وأريحية دون أي تحذيرات أو محاذير" ص 163، هذا الغوص في الجنس يشير إلى أن الكاتب يفكر، يستنتج، يكتشف ما وراء الفعل وما دوافعه، وهذا ما يميز "فراس حج محمد" عن غيره.

ويستشهد بقول "باولو كويلو": "فالجنس بلا عاطفة عنف نمارسه على أنفسنا" ص 103، فالكاتب يسعى إلى أن يكون الجنس علاقة متبادلة متفق عليها بين الطرفين، وليست من طرف واحد.

المرأة جرس:

وعن رؤيته للمرأة يجدها جرساً جاذباً/ منبهاً للرجل، لا يمكن المرور عليها أو عندها أو من أمامها مرور الكرام: "في الواقع المرأة كلها جرس... عندما ترتدي فستانا قصيرا يبدو ساقاها متحدين كلسان

الجرس، وذلك الفستان كأنه قبعة الجرس الخارجية... زغاريد النساء وكيف يبدو اللسان متردداً في جوف الفم، يتحول المشهد كله إلى قرع الجرس، والأدهى من ذلك فرج المرأة جرس، عند الممارسة جرس وعند الاشتهاء وتفتحه شعورا بالرغبة أيضا جرس... في الثديين الناعمين المتلألئين، إذن المرأة هي مجموعة أجراس" ص 74، لو جئنا بأي كاتب/ فنان لما استطاع أن يتوقف عند هذه المكتشفات الجديدة، المرأة مجموعة أجراس! من هنا تكمن عبقرية "فراس" الذي لا يمر على الأشياء/ المشاهد مرورا عابرا، بل هو المتأمل والمفكر، المستنتج ما هو جديد رغم أننا نمر عليه دون أن نعي أهميته، وما فيه من أفكار وأبعاد فلسفية.

فلسفة الأضداد:

يقول الله عز وجل في كتابه "يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون" سورة الروم (19)، والماركسية تعتمد في بنائها على وحدة وصراع الأضداد، فالجديد يخرج من رحم القديم ويحمل بين ثناياه شيئا منه "فراس حج محمد" يقدم رؤيته حول الأضداد بقوله: "فكيف يقولون إن الذكر ضد الأنثى؟ ما المبرر؟ نظرية خلق الإنسان ترى أن الأنثى مستلة من

الذكر، فهي بعضه، تماما كما هي العلاقة بين الليل والنهار، وهل تلد المرأة ضدها عندما تنجب ذكرا؟ وهل الجن ضد الملائكة أم أنهم ضد البشر؟ هل الأحياء ضد الجمادات؟ وهل الجمادات خالية من الحياة؟ القرآن يقول إن كل الموجودات فيها حياة: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم" ص 199، أعتقد أن هذه الوقفة والأسئلة تشير إلى أن الكاتب لا تمر عليه شاردة أو واردة، إلا توقف عندها بالبحث والسؤال والتفكير، وهذا يشير إلى أننا أمام كاتب مفكر، يبحر في الأشياء التي أمامه، فلا يمر/ يسلم منه أي شيء، دون أن يبحث فيه، وعنه، وكيف هو، وكيف كان.

وعن ضرورة فصل الفكرة عن الشخص الذي قالها يقول: "إن اللغة حكيمة أكثر من صاحبها" ص 30، أهمية المعنى تكمن في أننا نتعامل مع الأفكار التي تبقى نقية وبعيدة عن التلوث، بينما الأشخاص يمكن أن يبدلوا ويغيروا، فيبقى الاعتماد على الفكرة هو الأساس، لأنها يمكن أن تصبح/ تكون حجه على (انحراف) قائلها.

جذب القارئ إلى الكتاب:

- الحبّ

يستخدم الكاتب مجموعة محفزات تجذب القارئ لكتابه، منها حديثه عن الحب، يقول: "الحب أن تعيش سعيدا كل لحظة، تغتسل فيها مع من تحب، ويختلط الدم بالدم والماء بالماء، وصبح الجسدان جسدا واحدا، تصنعه كيمياء خاصة، يجعلكما كيانا واحدا معرفا بشيء واحد هو الحب" ص 104، فالكاتب يؤكد أن الحب مرتبط بالحياة الهنية، ويمكن الحصول عليه من خلال العلاقة الجسدية التي تعبر عن هذا الحب، وأيضا تدفعه إلى الأمام ليستمر (الحبيبان) في نهل السعادة واللذة، فالحب هنا هو وسيلة المحبين وغايتهم.

أما عن فكرة الحب فيقول: "أمام الحب يتلاشي كل شيء، ويتعرى المخلوق من كل مكتسباته، ليظهر على حقيقته محتاجا عاجزا ناقصا، يسعى إلى الاكتمال مع من أحب، فالجسد ليس عفونة يجب أن نتخلص منها، إنه بوابة الروح والامتزاج بها... لا شيء يجعلنا قادرين على أن نرى الأشياء على حقيقتها سوى الحب." ص 130، نجد اكتمال/ ذروة الحب تكمن في العلاقة بين الجسدية، وما المقدمات (العري) بين الحبيبين إلا مقدمة لتظهر الروح على حقيقتها، فالملابس تحد/ تمنع رؤية الحبيب والوصول إلى (روحه)،

لهذا لا بد من التخلي عن كل ما يحجب الجسدين، ليتوحدا معا، ويصلا إلى الذروة، فالحب عند الكاتب مشاعر/ أفكار/ أقول تتوج بالتوحد الجسدي بين الحبيبين.

- اللغة والإثارة

أيضا يستخدم الكاتب لغة أدبية مطعمة بالرغبة الجسدية، حتى أنهما يتماهيان معا، بحيث لا نستطيع فصل جمالية اللغة عن إثارة المشهد الذي يقدمه: "الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تقاوم... ماذا تتوقعين أن يحدث عندما أرى صورتك وهي واصفة لكل هذا الجمال الذي لا يقاوم، يشعرني بالجوع إليك، كأني لم أجرب النساء قط، ولم أتذوق لهن طعما... أخشى أن أموت ولا أتذوق لك طعما، يا لها من غصة؛ ألّا يتذوق الحبيب حبيبته!" ص 222، نلاحظ أن هناك (صنارة) يضعها الكاتب في النهر/ البحيرة ليجذب إليها كل الوالهين، فالحبيب ينتشي بهذه اللغة وأيضا الحبيبة تنقاد وراءها لتتعرف حجم الشوق الذي يحمله الكاتب للقاء حبيبته.

- الحب الأول والخديعة

أيضا يتحدث الكاتب برؤية مثالية عن حبه وحبيبته الأولى، حتى أنه (يبرر) علاقاته اللاحقة بالنساء على أنه كان يهدف إلى (إيجاد) حبيبته الأولى فيهن: "كنت أحاول أن أنساك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحبب منهن أي واحدة" ص 185، هذا الكلام يتم (تسويقه) للوالهين فقط، فهو مثالي زيادة عن اللازم، فلو اقتصر الأمر على إقامة علاقة (صداقة) لكن الأمر طبيعي ومقبول، لكن أن يصل إلى علاقات جسدية كثيرة ومتعددة فهذا أمر لا يمكن هضمه.

يستمر "فراس" في اللعب على وتر الإثارة والحديث عن الحب الأول وكأنه الخلق الأول له ولها: "وكل ما قضيته مع أولئك النساء كان من أجل أن أقتلك في داخلي، لكنهن لم يستطعن فعل ذلك، ولا أنا استطعت أن أتخلص من ذلك" ص 186، إذا ما توقفنا عند هذا المشهد سيبدو للوهلة الأولى وكأنه (الحب الذي لا يزول أبدا) من هنا لا الكاتب استطاع أن ينسى، ولا النساء الكثر استطعن أن ينسينه الحبيبة الأولى التي بحث عنها في وبين الأخريات، إذا ما توقفنا عنده متأملين سنجد فيه (خدعة/ تضليلاً) يمارسه فراس، فلو كان هذا الكلام (واقعيا/ حقيقياً) لنزوى الكاتب في عزلة، أو

لذهب إلى عناصر التخفيف/ الفرح الأخرى مثل الكتابة، ألم يقتل نساءه من أجل أن تكون "الثرثرات المحبّبة" حية بيننا؟ ولماذا لم يلجأ إلى الطبيعة؟ فهو يسكن في منطقة ريفية في غاية الجمال!؟ كل هذا يجعلنا نقول إن فراس يستخدم الحديث عن الحب لجذب القارئ إلى الكتاب ليس أكثر، فهدفه هو إيصال "الثرثرات" إلى أوسع شريحة ممكنة، فقد وضع فيه جهدا ووقتا وأفكارا ولغة لا بد من التوقف عندها والتأمل فيها.

فراس يقتل/ يكشف نفسه:

يعترف "فراس" بأن الرسائل مشروع أدبي استهواه بعد أن قرأ مجموعة كبيرة من كتب الرسائل: "فقد قرأت رسائل جبران إلى مي زياد، ورسائل كافكا إلى ميلينا، ورسائل أنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، ورسائل أنور المعدي إلى فدوى طوقان..." لقد شغفتني كثيرا هذه الرسائل يا عزيزتي، وأحببتها حبا جما، على الرغم من أنها أحيانا لم تكن ذات لغة رفيعة أو اسلوب أدبي نقي" ص 159، إذا ما توقفنا هذا المقطع، سنجد فيه "فراس" الكاتب الذي يريد تقديم رسائل ذات قيمة أدبية وبلغة راقية، من هنا كانت رسائله كثيرة وطويلة ولأكثر من امرأة، وعلى مدار أعوام كثيرة؛

فأول رسالة كانت بتاريخ 2012/6/5 وآخر رسالة في2023/2/7، وحتى لو كانت هذه الرسائل/ الكتاب على أجساد النساء وعلى حساب (كشف) حقيقة فراس ذاته: "لست كاتبا "غير نبيل" لأني أفشي أسرار حياتي الشخصية في الكتابة، لم أترك شيئا منها إلا وتحدثت عنه، أنا كاتب "غير نبيل" لأنني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفية بكل حذافيرها، فأنا لم أقلد أي كاتب في مشاعره أو عواطفه، أو في صنعة الكتابة، صنعت لغتي من أعصابي، وحملتها تولهاتي وأحزاني" ص 12، إذن عمل الكاتب عل إحياء جنس أدبي قليل الاستخدام، حتى لو كان ذلك على حسابه الشخصي وعلى حساب نساء حبيبات على قلبه، فالكتابة بالنسبة له هدف يجب أن يضحى بالجميع في سبيله، وهذا ما فعله "فراس" في "الثرثرات المحبّبة، الرسائل"

وعن علاقته بالنساء، فمنهن من آذينه حينما رفضنه: "كل النساء اللواتي رغبت في الارتباط بهن وقد أصبحت موظفا نفرن مني نفورا شديدا، كوني فقيرا ومعاقا" ص 117، وهذا ما دفع فراس إلى أن تكون النساء عنده وسيلة/ أداة إلهام للكتابة ليس أكثر، فالكتابة

بالنسبة له أبقى من النساء، فيها يكون ذاته كأديب، كشاعر، كناقد.

لغة فراس:

في الرسائل التي أرخها بتاريخ 2022/3/1 و3/11 و3/15 2022، صفحات (250-253) جعلها الكاتب على لسان الحبيبة، لكن نجد فيها لغة فراس وليست لغة الحبيبة: "أعرض عليك أن تأتي إليّ في شقتي لتقضي معي ما شئت من الوقت، حتى ترتوي مني وتشبع، وأعصرك في سريري كحبة ليمون وتعصرني كحبة برتقال شهية ناضجة، كرزتاي على صدري تنتصبان كلما قرأت جملة من هذا الشعر، ووردتي بين فخذي تبتل كلما مددت يدك نحو وردة حبيبتك. كم أشتاق لتكتب رداً على رسالتي، هل تخاف مني؟ ولن يطول بك التمتع حتى تهطل مطرا غزيرا يغسل لوعتي وحر اشتياقاتي.

لأعطيك نفسي راضية مرضية...أنا لست بخير" ص 250-252، هذه اللغة لغة فراس، وليست لغة أية امرأة أخرى، فهطول المطر، والوردة، وكتب لي، وحتى لغة القرآن الكريم كانت حاضرة في هذه الرسائل، وهذه كلها لغة فراس وليست لغة الآخرين، إن كانوا إناثا

أم ذكورا، وهذا ما يجعلنا نقول إن الرسائل فيها خيال وتخيل، والهدف منها هو تقديم مادة أدبية، بجنس أدبي قليل الاستخدام.

حقيقة "فراس"

الأدب يمتزج فيه الحقيقي مع الخيال، الواقعي مع الأدبي، فيخرج لنا بشيء جديد نستمتع به ونفكر فيه، لكن هناك أدباء يأخذون القليل من الواقع ويكثرون من الخيال، وكتاب "الثرثرات المحبّبة" أحد تلك الكتب، سنأخذ مقطعا يتحدث فيه الكاتب عن نفسه لنتعرف على حقيقة وطبيعة ونفسية الكاتب والكيفية التي يفكر بها، حيث يقدم نفسه "دون جوان" عصره، ويتحدث عن علاقة غير شرعية وغير سوية بين شاعر وحبيبته القديمة (انقضى أكثر من عشرين سنة على تلك العلاقة) حيث تزوجت وأنجبت وأصبحت ربة أسرة، لكنهما يلتقيان مجددا، فيقومان بما هو شاذ وقبيح: "هزني بعنف كبير من داخلي ما علمته من تطور العلاقة بين صديقي الشاعر وحبيبته المتزوجة، التي عرفت أنها تمارس الجنس معه، وتأتي إليه بين فترة وأخرى، وتقضي بين أحضانه أياما، تاركة بيتها وعملها وأولادها، وزوجها الذي أنقذها من ضياع محقق وقت أن قررت الهروب من إجبار أهلها على تزويجها من شخص لا تحبه، إن

هذا الأمر سيئ جدا، سوءا لا يتصور، كلما تصورت أن هناك إنسانا سيتألم لو عرف الحقيقة، هل تصدقين أنني أوشكت على البكاء، وشعرت بالتفاهة إلى أقصى حد، هل يعقل أن يقابل إنسان إنسانا آخر أحسن إليه إحسانا ليس له ثمن بهذا الرد وبهذه الخيانة، شخص أنقذك من الضياع، تخونه مع شخص عديم المشاعر، أناني لا يفكر إلا بشهوة نفسه" ص 92، هذا المقطع يكشف حقيقة "فراس" والطريقة التي يفكر بها، وكيف ينظر إلى الجنس، فداخله شخص نقي صافي يرفض الاقتراب من المحرمات/ المحظورات، وهو شخص يتأثر سلبا بالأحداث القبيحة التي تصيبه بالغثيان والإحباط، فهل يعقل لمن يملك هذه المشاعر/ الانفعالات أن يقدم على فعل ما يكره ويقرف ويشمئز منه؟

القيمة المعرفية في "الثرثرات المحبّبة"

- الأدباء والكتاب والكتب

يتناول الكاتب مجموعة كبيرة من الكتاب والأدباء والكتب، وهذا بحد ذاته يحسب للرسائل التي تعرف القراء بهؤلاء الكتاب، فالكاتب يتناول الغث والسمين، الجيد والرديء، يذكر كتاب "الشهقة الأولى" وكيف أنه تناول الرواية بحيث لم يجد فيها لا رواية

ولا حتى أدباً، مما جعل من يراسلها تقول له: "يا حرامك دمرتها للمخلوقة، ستكون هذه شهقتها الأخيرة" ص 39، هذه المعرفة بالكتاب بالتأكيد ستدفع القارئ للتعرف عليه أو العزوف عنه، لكن لا ضرر من إبداء وجهة نظره، فهي حق له ما دام أن الكتاب عرض في المكتبات.

ويتحدث عن علاقة الأدباء/ الشعراء مع النساء، متخذا من الشاعر "محمد حلمي الريشة" نموذجاً: "عندما كان طالبا جامعيا هو وزوجته (فيما بعد) كتب لها ديوانا كاملا، باكورة شعره، وظلت تحتفظ به، حتى نشره في كتابه "قلب العقرب" ص 49، بهذا المقطع يعرفنا "فراس" على الشاعر، وعلى كتابه "قلب العقرب" وعلاقته الطيبة بزوجته.

ويحدثنا عن "إبراهيم مالك": "صاحب الكتاب الدوري الثقافي "كتابنا كتّابنا" ليخبرنا أنه نشر في العدد العاشر من الكتاب الرسائل الخمس الأولى، على أن يستكمل نشر بقية الرسائل في أعداد قادمة" ص 116، "فراس" يعرفنا أنه نشر جزءاً من رسائله في "كتابنا كتّابنا" وأيضا يعرفنا على هذا الإصدار وعلى من يقوم

بإصداره، مما يشير إلى حقيقة وواقعية هذه الرسائل كأدب رسائل، ومن يريد الاطلاع على ما نشر منها فيمكنه العودة إلى الكتاب.

- الأحزاب

يعطينا الكاتب رؤيته عن الأحزاب، وكيف أنها تحدّ من قدرات المبدع على التقدم والارتقاء بإبداعه بقوله: "ففكرة الانتماء للأحزاب السياسية خطر كبير على الكاتب" ص 148، هذا القول حقيقة مر بها العديد من الأدباء العرب وحتى العالميين، لكن، للموضوعية نقول إن العديد من تلك الأحزاب عملت على صقل شخصية الأديب ووضعه على أول درجة سلم الأدب والثقافة، فالأحزاب العربية ساهمت في تأسيس غالبية الكتاب والأدباء العرب، حتى أننا بالكاد نجد أديبا خارج نطاق الأحزاب، لكن بعد مرحلة معينة لا بد من الانفصال (تنظيميا) لكن القناعات السياسية تبقى حاضرة في وجدان الكاتب والأديب، فحاله كحال الابن عندما يكبر ويقرر الزواج وتشكيل أسرة خاصة به، هذه هو الواقع، الأحزاب مهمة في مرحلة التشكيل، لكن بعد النضوج لا بد من الانفصال.

يحاول الكاتب العودة إلى التجربة الحزبية، من خلال الانتقال إلى جزب يساري بعد أن كان في حزب إسلامي، يحدثنا عن هذه التجربة قائلا: "رحمني الله عندما خرجت من حزب التحرير، ولكنني لم أرحم نفسي عندما دخلت في حزب آخر، فأنا لا أتقن العمل الحزبي، ولا أجد جدوى منه، فما هو إلا عبث على عبث، ويرمي بنا في أغوار المجاهيل، ولن تفيد أحدا، لا وطنا ولا مواطنا" ص 173، هذه (التجني) على الأحزاب ناتج عن الواقع الفلسطيني اليومي، وما يمر به من (ضياع وتيه) بعد أن أصبحت الأحزاب يافطات أكثر منها أحزاباً فاعلة ومؤثرة، فهذا القول لا يمكن أن يؤخذ كقاعدة مطلقة، بل ضمن الحالة الزمانية والظرف الذي تمر به فلسطين وشعبها، وحتى المنطقة العربية، التي أصبح حال الأحزاب فيها كحال فلسطين إن لم يكن أسوأ، ففراس حج محمد ما كان ليكون ما هو عليه الآن دون حزب التحرير، لكن يؤس الواقع جعله يخرج بهذا القول.

- الجو ائز

الجوائز، وفكرة الوصول السريع إلى القمة/ الغنى انتشرت من خلال (أوراق اليانصيب الخيري) حيث يشتري المواطن ورقة بمبلغ

زهيد، ويأتيه الحظ بالفوز، فينتقل من الفقر والعوز إلى الغنى والكفاف، هذه الثقافة اتسعت وانتشرت وأخذت أكثر من شكل، وطالت كافة شرائح المواطنين، حتى أصحاب المحلات أخذوا يمارسونها على الزبائن، (اشترِ بقيمة خمسين ديناراً وادخل السحب على سيارة) والأدب دخل على الخط، خاصة بعد البطَر الذي يمر به الخليج العربي، فأصبحت الجوائز كثيرة وعديدة وتطال كافة الأجناس الأدبية، والفئات العمرية، يحدثنا "فراس" عن الجوائز وأثرها السلبي بقوله: "كثير من الكتاب لا يكتبون إلا من أجل الحصول على الجوائز، إنها مقبرة أخرى للكاتب، أحذرك من متابعة أوهامها". ص 142، عندما قال فراس إنها مقبرة للكاتب، استند على ما قاله سابقا عن الكتابة التي يرى ضرورة أن تخرج من داخل الأديب وليس من قلمه، فالتماهي بين الكاتب ونصه، وهو ما تجعله يصل إلى القارئ وتسهم في إيصال فكرته بأفضل ما يكون.

- النقاد

أمراض المثقفين كثيرة وعديدة، وتطال غالبية الشرائح والجهات التي تتعامل مع الكتاب والكتابة، ينقل لنا حديث (صديقته) عن علاقة (الناقد) مع الأنثى الكاتبة: "بعض شخصيات الصور كتب

عن شخص، يدعي أنه ناقد ولا يفرق بينهن، إذ كلهن عنده "الكبيرة المبدعة" تخيل أنه سألني على الخاص: "هل أكتب عنك؟" رغم رفضي لعرضه وتأكيدي أنني لا أملك شيئا يكتب عنه، كتب منشورا وتجاهلته تماما، وألغيته من صفحتي" ص 153، هذا حال المثقفين والأدباء والنقاد، فبالكاد يعرفون أنثى حتى (ينهمروا) عليها ليغسلوها لتكون (نجمة أدبية) ترفع لها القبعات، متجاهلين أن هناك قامات وطاقة إبداعية لم يلتفتوا لها التفاتا، وهذا ما يجعل المشهد الثقافي بائساً.

- الاحتلال

بما أن الكاتب يعيش تحت أقذر وأطول احتلال عاشه شعب في العصر الحديث، فقد ظهر هذا الاحتلال فيما يكتب:"عليّ أن أجهز نفسي للعمل، الجيد في هذا اليوم أنه يوم عمل مكتبي، إن نجحنا في الوصول إلى العمل، ونجونا من الحواجز، ومن الاجتماعات الفجائية سيكون هذا اليوم فيه بعض الجمال، أرجو ذلك" ص 197، رغم بساطة وصغر المقطع "نجونا من الحواجز" إلا أنه يعطي القارئ حجم الضغط الذي يشكله الاحتلال على الفلسطيني، فهو الذي يمنعه من التنقل والتواصل مع الآخرين، ويمنعه من الوصول

لعمله، ويجعل يقضي وقته مهدورا أمام الحواجز الكثيرة والعديدة التي يقيمها.

- السلطة

السلطة أيضا لها نصيبها من الكتاب، فمثالها كثيرة وعديدة، وفسادها متشعب ومتشابك، يحدثنا عن إجراءات التوظيف والمقابلات التي تتم للمتقدمين للوظائف: "تخيلي أن هناك قوائم سوداء توزع على لجان المقابلات للمعلمين الجدد مثلا ليتم تحطيم أشخاص معينين ليبدو أن المسألة طبيعية، وكأنهم يبحثون عن شرعنة الفساد، إنهم يفكرون كيف يخرج الفساد مؤدبا وخلوقا وشرعيا وقانونيا" ص 225، اللافت في هذا المقطع ليست فكرة تعرية الفساد فحسب، بل الطريقة الأدبية التي قدمت بها أيضا، "شرعنة الفساد، الفساد مؤدبا وخلوقا" وهذا ما يجعل صورة القائمين/ العاملين بهذه اللجان أكثر قبحا، فهم يستخدمون (أدوات/ إجراءات نظيفة) في إلحاق الظلم بالآخرين، وإعطاء من لا يستحقون حقوق غيرهم.

- رجال الدين

رغم أن الكاتب يحمل ثقافة دينية، وهذا ما نجده في أقوله وفي كتبه وأشعاره، إلا أنه ينتقد التفكير/ النهج السلبي عند من يدعون أنهم (علماء الأمة) مثلا عندما يتحدثون عن الجنة والحور العين: "نشر فيديو لأحد هؤلاء "الدعاة" يظهر فيه وهو يقول إنه لا شغل يشغلنا في الجنة عن ممارسة الجنس مع الحوريات، وكأن الجنة في هذا التصور أضحت "بيت دعارة" مع تحفظي الشديد على هذا الوصف، إن هذا الفيديو وكثير مثله هو السبب ربما في تلك الموجة الصارخة من الإلحاد التي تجتاح "الفيس بوك" ص 65، هذا التناول لطريقة تفكير هؤلاء المحرفين يدفع بالقارئ ليتوقف عند المسميات التي يسمعها يوما، (سبعين حورية) فالجنة بالنسبة لهم كما قال الكاتب مكان لممارسة الجنس، وكأن أهل الجنة عندهم شبق/ جوع جنسي ولا يفكرون بغيره، لكن من يتوقف عند الجنة سيجدها مكان للتمتع بجمالها "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" فالجنة وما فيها من أنهار ونعيم أوجدها الله لأهلها لا تعد ولا تحصى، وهذا ما يسفه كلام هؤلاء المتوحشين جنسيا الذين يرونها مكانا مترعا بالنساء والشهوة.

أثر فراس في الأخرين:

"فراس" شاعر، وناثر، وناقد، ومعلم، ومشرف تربوي، وقد أنتج حتى الآن ما يزيد على الثلاثين مؤلفا، وله صفحة خاصة به على جوجل، ونشر أكثر من ألف مداخلة على الفضاء الإلكتروني، وهذا ما جعل أدبه متاحا للكثيرين من الأدباء والكتاب والمثقفين، يقول عن هذا الإرث: "كم أسعدني مثلا أن طالبة دكتوراه قد استعانت بمقالة لي حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يلق بك" وكانت رسالتها عن "النقد الأخلاقي" وقد سبق أن استعان أحد الباحثين نشر مقالة محكمة في مجلة محكمة في إحدى جامعات العراق الكردية بمقالة لي حول اللغة العربية" ص 112، هذا المقطع يقودنا إلى فكرة النبوة والرسالة التي تحدث عنها "فراس" وعن دور الكاتب، فجل هدفه تقديم معرفة/ خدمة للآخرين، وتقريبهم مما هو جيد ومفيد ممتعا أدبيا ومعرفيا.

وعندما يرى أحد طلابه قد أصبحا شاعرا يفرح وينتعش: "فرحت لقصيدته جدا، إنه واحد من الطلاب الذين أثمر فيهم التعليم، فصار شاعرا... وفاز على مستوى مديرية التربية والتعليم التابعين لها جنوب نابلس بمساقة "الشعراء المعلمين" إن هذا الأمر مفرح

جدا يا عزيزتي إنه الشاعر لطفي مسلم" ص 105، بهذا يكتمل دور الشاعر/ النبي، فقد أوجد من يحمل رسالته ويكمل دربه.

نبل الكاتب:

من يتابع كتب "فراس" يجدها تتضمن أسماء/ أقول/ صفات أصدقائه، وفي "الثرثرات المحبّبة" نجد مجموعة من الأصدقاء تم ذكرهم وتضمين الكتاب بأقوالهم، وأكثر من هذا جعل في خاتمة الكتاب (فصل) يتضمن العديد من التعليقات التي كتبوها عن الرسائل حينما نشرها على الفضاء الإلكتروني، فهناك أكثر من عشرين كاتبا وكاتبة تم تضمين الكتاب بتعليقاتهم: "لقد أحببت أن أكرم الكتاب الذين كتبوا لي وأكرم كتابي بهذه الطريقة من الاحتفاء" ص 213، هذا الأمر فعله في هذا الكتاب والكتب السابقة، وهذه سابقة تحسب للكاتب الذي يثبت/ يوثق ما كتب عنه حتى لو كان ذلك سلبيا، وينتقص من مكانته كشاعر وكأديب، وبهذا يكون الكاتب ديمقراطيا يتيح المجال للآخرين ليتحدثوا عنه بحرية ودون قيود.

سيميائية الغضب وهيكلية النفس المقموعة

(ناشرون فلسطينيون)

تتجه هذه المقالة تحديداً نحو تفكيك خاتمة كتاب الرسائل "**الثرثرات المحببة**" للكاتب فراس حج محمد، هذه الخاتمة التي لم يحفل بها كل من كتب عن هذه الرسائل، كأنهم لم يصلوا إليها، أو لعلهم لم ينتبهوا إلى ما فيها من لغة صادمة، وقاسية، لا تتناسب وما سبقها من رسائل ودّ وحبّ، أفاض فيها الكتب بشرح عاطفته وأفكاره تجاه أولئك النساء اللواتي راسلنه وراسلهن، وهن سبع نساء: (أميرة الوجد (ش. ح)، صوفي، ف. ع، إ. س، ر.غ، ص. ز، ل. م)

هذا المنجز الأدبي للكاتب فراس حج محمد ظاهرة فنية تستحق التأمل المعمق، ليس فقط لغزارة إنتاجه التي تجاوزت الثلاثة وأربعين كتاباً منذ عام 2013، بل لاشتباك هذا المنتج مع أشد المناطق حساسية في الوعي الجمعي العربي، وتحديداً ثالوث (الدين، والجنس، والسياسة)، وفي كتابه هذا "**الثرثرات المحببة**"- الرسائل الصادر عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس عام 2024، يضعنا الكاتب أمام تجربة فريدة تنتمي لأدب الرسائل،

حيث يتبادل البوح والحنين وشيئاً من الجنس مع مجموعة من المبدعات، لكنه يختتم هذا الفيض الوجداني بخاتمة صادمة ومستفزّة في حدتها وتشكيلاتها الصورية البلاغية، كأنه تعمّد أن يهدم كل ما كتبه دفعة واحدة، فبدا للقارئ أنها كتابة (كتابة الرسائل) غير ذات جدوى.

تسعى هذه المقالة إلى تفكيك هذه الخاتمة عبر أدوات المنهج البنيوي النفسي، محاولة سبر أغوار الموقف الوجداني للكاتب من المرأة، والتحقق من مدى صمود فرضية الميسجونية أو كره النساء أمام هذا النص الذي يبدو كلعنة لغوية موجهة للمرأة.

ينهي الكاتب رسائله بهذه الخاتمة: "***كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليبلْ في فمها الثعلب، وتلعب بنهديها الفئران، وتعشش تحت أبطيها العناكب، ولينم في فرجها الذباب، وليكن ظهرها مسرحا للجنادب، وبطنها مأوى للنمل، ولتمصّ دم فخذيها العقارب، وتصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة***".

لفهم هذه الخاتمة لا بد من تأصيل الأداة النقدية المستخدمة في التحليل، فالمنهج البنيوي النفسي الدامج بين البنيوية والتحليل النفسي، يمثل قراءة نقدية ترى في النص نظاماً لغوياً مغلقاً يعيد

إنتاج البنى النفسية العميقة للمبدع، حيث تنطلق البنيوية من فكرة أن النص وحدة محددة تنظم ذاتها بذاتها، حيث اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف، ومع ذلك، يضيف البعد النفسي هنا أن هذه اللغة ذاتها محملة برغبات مكبوتة ورموز تعوض عما لم يستطع الكاتب تحقيقه في واقعه، فكان لا بد من اجتماع منهجين معاً ليكونا أقدر في الكشف عن أبعاد النص الدلالية.

إن التعامل مع النص الأدبي كعَرَض عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول، يتيح لنا فهم لماذا لجأ فراس حج محمد إلى صور الثعلب والعقارب والذباب، وغيرها في خاتمته، فالتحليل البنيوي يبدأ من بنية الكلمة وصيغتها ليصل إلى معنى المعنى أو الدلالة العميقة، وفي هذا السياق، تصبح الخاتمة بنية لسانية تعكس اضطراباً في العلاقة بين الأنا (الكاتب) والموضوع (المرأة)، وهي علاقة تتأرجح بين التقديس والتدنيس.

تبدأ الخاتمة بجملة شرطية قاطعة- مع ملاحظة حذف أداة الشرط- تضع قصائد العشق كمعيار للوجود الإنساني للمرأة: كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليبلْ في فمها الثعلب...، من منظور بنيوي، نلاحظ هيمنة أفعال الأمر (الأفعال

المضارعة المقترنة بلام الأمر) التي تضفي صفة القدرية والوجوب على العقوبات المقترحة، وتعد كل الجمل اللاحقة للجملة الابتدائية نتائج وجزاءات لفعل الشرط الكائن في الجملة الأولى، فكأننا أما جملة مفتاحية رئيسية، وكل جمل الخاتمة تابعة لها في المعنى والتلازم.

وفي هذه الجمل، ثمة بنية للعقاب الرمزي وتجلياتها الحسية، إذ يرتبط كل عضو أنثوي في المرأة بوكيل عقابي، وفعل ملازم، ما يفسر أو يشير إلى دلالة نفسية ورمزية، فالفم ارتبط بالثعلب وبفعل التبول، لما في هذا التلازم الثلاثي من إشارة إلى تدنيس وسيلة البيان والقبلة، وتمثل رد فعل على صمت المرأة، أمّا النهدان، فيرتبطان بالفئران، وبفعل التلاعب، وفي ذلك تحويل رمز الأنوثة إلى عبث، بما فيه من سلب القدسية والمتعة والجمال عن هذين العضوين اللذين كانا موضع احتفال كبير للشاعر في قصائد كثيرة لعل أهمها "أغنيات إلى سمّو نهدك" و"نبوءة النهد الأخيرة"، ومقالته التأسيسية "أجمل ما في المرأة ثدياها".

كما يختار الكاتب من المناطق المخفية منطقة الإبطين، مشبهها إياهما بشبكة عنكبوتية (قذرة) تعشش فيها العناكب، ما قد يوحي

بالموت السريري والإهمال الوجودي، وأما الفرج- وهو عنوان اللذة الحسية عند كلا الطرفين المتراسلين وكثيرا ما أشارت إليه الرسائل سواء عند المرسل (الكاتب) أم عند بعض أولئك النساء، وخاصة صوفي، وأميرة الوجد- فقد ارتبط بالذباب وبفعل النوم، لتكون قمة التدنيس الرمزي، وتحويل منبع الحياة إلى مأوى للقذارة أيضاً.

لم تنسهِ هذه الأعضاء الأمامية أن يلتفت إلى عضو من أعضاء المرأة الخلفية، وهو الظهر الذي يشكل مساحة ممتدة تستوعب المساحة الأمامية، وخاصة الصدر والنهدين والبطن وصولا إلى الفرج، متجاوزاً ربما عن عمد الحديث عن المؤخرة. لقد جعلت الخاتمة هذا الظهر مسرحاً للجنادب، ليجرد ذلك الجسد من خصوصيته وجماليته ويحوله إلى أرض مشاع، ولإحداث السيطرة الكاملة على الجسد الأنثوي في مناطق غزارته الدالة على المتعة، يعود إلى البطن لتتكامل المساحتان؛ الظهر والبطن، فقد جعل هذه المنطقة مأوى للنمل، ليعبّر عن تلك الحيوية التي كان ربما يطمح إليها بتكوّن جنين من صلبه في أحشاء تلك النسوة أو إحداهن، وأخيراً يصل الدعاء على النساء إلى الفخذين حيث فعل

مص العقارب للدم منهما، مصـــورا العلاقة كفعل افتراســي مؤلم وسُمّي.

تحيـل هـذه الســتـة مخلوقـات (الثعلـب، والفئران، والعنـاكـب، والجنادب، والنمل، والعقارب) إلى ذاكرة أدبية مشــبعة بالدلالات السـلبية، فيسـتذكر الكاتب صـورة الثعلبان الذي يبول على رأس الصـنم في البيت المشـهور: "أربّ يبول الثعلبان برأسـه، لقد ذل من بالت برأســه الثعالب"، وحضــور الفأر المفســد كثيراً في الأدب العربي، كمـا أن العنـاكـب ذات دلالـة سـيئـة في عـدم الاعتراف بالعشرة والألفة مع الشريك، أما الجندب فمن خصائصه أنه كلما اشـتد الحر زاد صـريره، وهو ما جعله رمزاً عند الأدباء للكائن الذي يجد لذته في المحنة التي هي الحرارة، والنمل وما عرف عنه من بخل وحرص، والعقارب لما لها من تاريخ سـيئ في اللدغ المذل، فالعقرب في المخيال الشـعري العربي هي كائن تكتيكي؛ لا يواجه كالمفترسـات الكبرى، بل يكمن ويترصــد، ولذلك كانت الرمز الأقوى لوصــف الخيانة والنميمة، ولعلّ كل كائن من هذه الكائنات يشير إلى واحدة من أولئك النسـوة، اللواتي كنّ سـتّ نسـاء أيضـاً، إذا ما اسـتثنينا

(ص. ز) تلك المرأة التي راسلته وعرضت نفسها عليه ليضاجعها لكنه لم يأبه بها، وتجاهلها تماماً.

إن هذا التراكم الصوري المنفر يمثل انزياحاً حاداً عن لغة الكاتب الوجدانية المعتادة، فبينما يصف المرأة في نصوص أخرى بأنها "عنب شهي" "حلو المذاق"، نجد هنا تحولاً نحو تبشيع الجسد واختفاء جمالياته الشعرية والطبيعية، هذا التبشيع ليس فعلاً بيولوجياً، بل هو بنية لغوية تعويضية عن إحباط عاطفي ناتج عن عدم احتفال أولئك النساء بتلك الرسائل.

يكشف فراس حج محمد في حواراته أن الشعر سِفْر للحزن والتعاسة، وأن الكتابة بالنسبة له فعل تطهير من ثقل الأوجاع، فتبدو الخاتمة، بهذا المعنى، هي لحظة انفجار (الهو)- مستودع الغرائز المكبوتة- في وجه (الأنا الأعلى) الذي يمثل القيم الثقافية والتقدير الإنساني للمرأة.

يشير الكاتب إلى أنه توقف عن كتابة الرسائل، لأن المرسل إليه لم يكن يحفل بتلك الرسائل، وفي علم النفس، يؤدي الإحباط المستمر إلى العدوان، حيث إن الكاتب مهذب جداً وخلوق في واقعه بشهادة زملائه، كما جاء في إحدى القراءات النقدية للرسائل التي

كتبها الدكتور سـرمد التايه، فإنه ينقل هذا العدوان إلى اللغة، ليجعل من الخاتمة مذبحة لغوية للمرأة التي تجرأت على ممارسة الصمت أمام فصاحة الشاعر، إنها رغبة في إبادة الجمال الذي لم يعد متاحاً أو مستجيباً، فهذا التصنيم البارد والقاسي لهذا الجمال يجد له الكاتب هذا الرد القاسي، وكأننا أمام مبدأ تناسب رد الفعل مع الفعل نفسه، فلكل فعل رد فعل، مناسب له في المقدار، ومعاكس له في الاتجاه، كما في ذلك القانون الفيزيائي الشهير.

لم تكن الحيوانات والحشرات المستخدمة في النص عشوائية، فالثعلب يرمز للمكر الذي يدنس الفم، والمراوغة كانت في العشق فعلا شفويا فمويا، والعقارب ترمز للغدر والألم الذي يصيب أشد المناطق حميمية وجمالية بعد الفرج (الفخذين)، والعناكب ترمز للقتل، حيث الأنثى تقتل ذكرها، لكنها هنا تستعجل فتقتله قبل التلقيح كما هو في علم الأحياء، وكذلك القول كما ذُكر أعلاه عن الجنادب والنمل والفئران، وتعكس هذه الصور بنية نفسية تحتية ترى في المرأة غير المتفاعلة جثة بيولوجية، لأن الحياة في مذهب

الكاتب مرتبطة بـــالاهتزاز للجمال والشـعر والتعاطف والمشـاركة الوجدانية والحسية.

للوهلة الأولى، تبدو الخاتمة دليلاً دامغاً على أن الكاتب مصـــاب بالميسـوجينية (Misogyny) التي تعني كره النسـاء وتحقيرهنّ، ومع ذلك، فإن التحليل البنيوي النفسي يقتضي وضع النص في سياق الكلية الإبداعية للكاتب، فثمة نوع من التناقض بين الخطاب النقدي والخطاب الإبداعي الانفعالي؛ ففي خطابه النقدي، يعد فراس حج محمد من أبرز المدافعين عن الإبداع النسـائي، رافضـاً تهميش المرأة أو التعامل معها كمفعول به تاريخي، وفي كتابه "**الكتابة في الوجه والمواجهة**"، يهاجم الذئاب الثقافية الذين يبتزون الكاتبات، هذا التناقض يشير إلى أن تلك الخاتمة البشعة ليســت موقفاً فكرياً ثابتاً، بل هي حالة وجدانية متطرفة مرتبطة بلحظة الإبداع.

ولو أجرينا مقارنة بين الرؤية الكلية لفراس حج محمد وخاتمة "**الثرثرات المحببة**"، لتبين لنا وللقارئ الكريم حقيقة مواقف فراس حج محمد من المرأة، فهو يعرّف المرأة بأنها أصـل الوجود ومنبع الجمال وسـر الحياة، ويسـتخدم رمزية شـهرزاد المخلّصـة

والذكية التي تروض التوحش الذكوري، ويتخذ موقفا متقدما من الجسد الأنثوي فيحتفي بالجمال والارتواء العذري والحسي، ليصل في نهاية موقفه الذي أودعه في كتبه النقدية أن الهدف من الكتابة هو التحرر، والمواجهة، وبناء الهوية.

في مقابل ذلك كله، تظهر الخاتمة موقفا معاكساً، حيث التدنيس المتعمد عبر صور التحلل والكائنات ذات المدلول السلبي، فالأنثى تستحق اللعنة بسبب صمتها، وبالتالي فقد ظهرت كائناً بيولوجيا مستباحاً للحشرات إذا لم تتأثر بالشعر، ولم ترقَ إلى ما كان يطمح إليه الشاعر في مراسلاته الحارة والمكثفة، ليصل إلى هدف خاص من الكتابة متمثلا في الانتقام الرمزي والتطهير من ألم الرفض.

إن هذا التباين يؤكد أن الكاتب يعيش صراعاً بين المثقف التنويري الذي يقدس المرأة، وبين الشاعر الرومانسي الجريح الذي لا يقبل من المحبوبة بأقل من التماهي الكامل معه، ومع قصائده وما يكتبه، فكما قال "من حبّ ذاق"، وقد بقي محروماً لم يذق شيئاً، فالخاتمة- إذن- هي سقوط مؤقت في غياهب اللاوعي الغاضب، وليست بياناً ميسوجينياً مؤسسياً.

تنتهي الخاتمة بجملة "**تصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة**"، هنا نجد اعترافاً صريحاً بأن الكتابة ذاتها يمكن أن تكون سلاحاً مدمراً، ومن منظور بنيوي، الكتابة عند فراس حج محمد هي فعل وجودي؛ فإذا لم تحقق الكتابة هدفها في هزّ المرأة، فإنها تتحول إلى لعنة تطارد الطرفين، إن الكتابة هنا كانت فعل تدمير لمواطن الجمال الأنثوي بفعل كائنات بغيضة وغير محبوبة، فصار التدمير ثلاثياً، تدمير الذات، واللغة الجمالية، والمرأة العاشقة.

يرى الناقد رائد الحواري أن كتابات فراس حج محمد" تهدف إلى التطهير من ثقل الفعل نفسياً"، وفي الخاتمة، يمارس الكاتب عملية إسقاط لمشاعره السلبية تجاه المرأة الجاحدة لفضله الشعري، لتبدو الكتابة هنا تبرئه من الفعل- العدوان الواقعي- وتحوله إلى اعتراف لغوي يخلصه مما يثقله، إنها عملية انتقام بلاغي تجعل من المرأة أساطير في القبح والخراب، رداً على عدم رغبتها في أن تكون أسطورة في الحب.

في كتابه "**سر الجملة الاسمية**"، يؤكد الكاتب قدرة الاسم على بناء نصوص كاملة المعنى، لكن في الخاتمة، نلاحظ انفجاراً في الأفعال (يبول، تلعب، تعشش، ينام، يكون، تمص)، هذا التحول من

سكونية الاسم التي تليق بالحب المستقر إلى حركية الفعل العقابي يعكس اضطراباً في البنية الوجدانية للكاتب، وهو لم يعد يصف حالة، بل يخلق مصيراً مفجعاً عبر اللغة السردية المتوترة التي تناسبها الأفعال لا الأسماء.

لا يمكن فصل خاتمة "**الثرثرات المحببة**" عن تجربة الكاتب في كتابه "**نسوة في المدينة**"، حيث الجرأة في تصوير الجسد والوصول لموضوعات غير مألوفة، إذ يعترف الكاتب في مقدمة هذا الكتاب "أن بعض الحكايات كانت مملة حد المرض النفسي" فلم يذكرها، أما في الخاتمة، فهو يواجه المرأة المملة التي لا تهزها القصائد- يواجهها بأبشع الصور.

وُصف أدب فراس حج محمد بأنه وليمة فكرية فيها كل أصناف المتعة الروحية والأدبية، لكن الخاتمة تقدم وليمة مسمومة، الجلد الذي يجب أن يُتحسس باللمس وبالتمتع البصري يصبح مسرحاً للجنادب، والفم موطن الجمال في الحديث والتقبيل يصبح مكاناً للبول، والفرج والنهدان والفخذان مواطن اللذة الحسية الكاملة تصبح أعضاء للقذارة والألم العنيف، والبطن الذي يجب أن يكون مأوى للحياة، يصبح مأوى للنمل، إن الكاتب

يمارس تعطيلاً متعامداً للحواس الجمالية المُتَعية للمرأة؛ فالعين لا ترى، والأذن لا تسمع القصائد، والجلد لا يشعر إلا بالعقارب، ومع كذلك يتعطل التمتع الجنسي، هذا التعطيل الحسي هو العقاب المناسب في نظر الشاعر لمن عطلت حاسة التلقي لديها تجاه شعره ورسائله وتوسلاته العاطفية.

وصف بعض النقاد فراس حج محمد بالمشاكس الذي يجيد جرأة الطرح، ويرى آخرون أن نصوصه مجنونة وتتجاوز الحدود، ومن وجهة نظر المنهج البنيوي النفسي، هذه المشاكسة هي قناع يخفي خلفه رغبة عميقة في الاعتراف، فالكاتب يريد من القارئ- والمرأة- أن يخترق مسافات الحكايات الأخرى التي لم يروها.

الخاتمة هي الفخ الأخير الذي نصبه الكاتب؛ فهي تستفز القارئ لدرجة تجعله يتساءل عن أخلاقية الكاتب، لكن الكاتب يرى أن الصدق الفني يتطلب تعرية النفس من ثوب النبل الزائف، فهو يقول لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً إذا كان الثمن هو إخفاء الحقيقة النفسية البشعة لرد الفعل تجاه الخذلان.

بناءً على ما تقدّم من التحليل القائم على المنهج البنيوي النفسي لخاتمة "**الثرثرات المحببة**" ومقارنتها بالبنية الكلية لمنتج فراس حج محمد الإبداعي والنقدي، نصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: الموقف الوجداني من المرأة ليس موقفاً كارهياً بالمعنى التقليدي (الميسجونية)، بل هو موقف عشقي متطرف محكوم بمنطق "**الكل أولا شيء**"، المرأة عند صاحب الرسائل هي إما إلهة ملهمة تهتز لكل حرف، أو جرم مادي يستحق التلاشي والتدنيس إذا ما فقدت حساسيتها الجمالية.

ثانياً: الخاتمة تمثل لحظة انهيار الأنا أمام سطوة الهو الغريزي الذي لا يحتمل الرفض، وما الصور المقززة إلا انزياحات لغوية تعبر عن حجم الجرح النرجسي الذي سببه صمت النساء المرسل إليهن.

ثالثاً: استخدام اللعنة والصور الحشرية والحيوانية هو استعادة لآليات الهجاء القديم في التراث العربي، لكن بلباس سيكولوجي حديث يهدف إلى التطهير النفسي للكاتب من عبء الانتظار العبثي بعد أن فقد الأمل باستعادة العلاقة العاطفية، وخسرها إلى الأبد،

إنه تحول من الغزَلِي إلى الهجائي في سياق الغزل نفسه، وهذا يبدو من الأمور اللافتة في هذا الكتاب، وتكشف عنه الخاتمة.

رابعاً: تظل تهمة الميسجونية ضعيفة أمام مشروع الكاتب الذي كرس فيه عشرات الكتابات للدفاع عن حقوق المرأة المبدعة ومواجهة اضطهادها، فالخاتمة هي استثناء وجداني يثبت القاعدة؛ فالغضب العارم لا يأتي إلا من حب عارم أجهضه الصمت.

خامساً: إن لعنة الكتابة التي توعد بها الكاتب هي في الحقيقة لعنته هو أيضاً؛ فهو الكاتب الذي لا يستطيع الانفكاك عن هوسه بالأنثى، وهو الذي يجد نفسه مضطراً لتحويل أجمل عواطفه إلى أقبح صوره اللغوية كفعل انتحار بلاغي أمام برود المرأة العاشقة التي عاقبته بالصمت المطبق، ولم ترأف لحالته البائسة، وهذا ربما ما جعله يعلن توقفه ليس عن كتابة الرسائل وحسب، وإنما عن كتابة الشعر أيضاً.

في الختام، تظل خاتمة رسائل فراس حج محمد "**الثرثرات المحببة**" نصاً إشكالياً يضع القارئ والناقد أمام مرآة النفس البشرية في أشد لحظاتها عرياً وانكساراً، إنها ليست صرخة رجل كارهٍ للنساء،

إنما في حقيقة الأمر صـرخة عاشـق مهزوم وجد في تبشـيع ملهمته وسـيلة وحيدة للبقاء على قيد الإبداع، لعله يرضـي نفسـه الأمّارة بالحب والسوء معاً.

اللسع الحامي للثرثرات المُحبَّبة لفراس حج محمد

د. سرمد فوزي التايه

كلما اعتقدنا أننا بِتنا قريبين من فراس حج محمد، وأننا صرنا نعرف تفاصيله وتفاصيل حياته المكنونة منها أو المستورة أو المنشورة، المُباحةِ أو السرّيَّة، ما خفي منها أو ما أُذيع على العلن؛ نكتشف أننا ما زلنا نجهل الكثير عن كُنه، وخبايا، وخفايا، ودفائن هذا الإنسان والكاتب والشاعر الواضح، الصريح، المُشاكس، المُزعج، المُدهش، الجريء، البسيط غير المُتكلِّف، والكثير الكثير من الأوصاف التي أعرفها أنا عنه شخصياً خلال معرفتي به وزمالتي له لقرابة ثلاثة عقود من الزمان؛ ابتداءً من أيام الجامعة وصولاً لأيام العمل معاً في سلك التربية والتعليم، ناهيك عن اطلاعي على بعضٍ من شخصيته من خلال قراءة العديد من كتبه وكتاباته التي أهداها إياي على مراحل وفترات زمنية مُتباينة، أو ما حُزتُه منها من خلال أصدقاء مشتركين لنا، فكنت أتناولها بدايةً كأي قارئ لأي كتاب إلى أن اكتشفت أنها غير الكتب الأخرى؛ إذ لا يمكن قراءتها بصورة عادية عابرة؛ فهي بحاجة إلى التَّعمُّق بها ونبش جذورها بصورةٍ مُبالغٍ فيها لما تحويه من غرائبَ، وعجائبَ، ويومياتٍ،

وتناقضاتٍ، وبوحٍ، وسفورٍ، ومُجونٍ، ودُموعٍ، وأسى، وألمٍ، وقهرٍ، وحياة بكل تجلياتها وتفصيلاتها ومعانيها.

لقد وجدت في كتابه "**الثرثرات المُحبَّبة**" الصادر عن دار الفاروق عام 2024، فراس حج محمد كما هو دون مواربةٍ، أو تغطيةٍ، أو سترٍ، أو تعتيمٍ، أو تشويش؛ فقد قام– سامحه الله- بتجريد نفسه وتعريتها من كل ما غطاها وجلّاها حتى أزال عنها الحجاب واللباس الذي واراها ووارى سوأته؛ ليُبرز تلك السوأة ويُبينها ويكشفها للعيان دون خوفٍ أو وجلٍ أو فزعٍ أو توجُّس! تاركاً العنان لمن أراد أن يُبحر في خصوصياته، ويغوص في يومياته بأن يفعل ما يشاء وما يُريد عن طيب خاطر منه دون أن يجد أو يواجه أي مانعٍ، أو ملامةٍ، أو تحفُّظٍ، أو قيود.

في هذا الكتاب الذي يقع في 292 صفحة يقوم الكاتب بعد الإهداء والمقدمات بتوضيح لماذا توقف عن كتابة الرسائل، ثم ينتقل للحديث عن معنى "النُبل" ويُصرُّ بعنوان الجزء الأول القول إنه "لن يكون رجلاً نبيلاً"، ثم يستهل برسالةٍ إلى أميرة الوجد (ش. ح)، ثم رسائل (2016 و2018)، تلتها رسائل (2019)، ثم رسائل (2020)، وبعدها رسائل (2021)، وبعد ذلك رسائل (2022)،

لينتقل بعدها إلى ثلاث رسائل من (ص. ز)، ورسالة صوفي، ثم قصيدة ورسالة، وأخيراً جزء مُتعلق بتعليقات جمهوره على رسائله، وختاماً المقال حول ما جاء في قصيدة المحاكاة "ما حاجتي لرجل".

وفي شيء من التمحيص، والتشريح، والتحقيق، والتدقيق بما جاء به هذا الكتاب، نجد أن الكاتب قد وضع في افتتاحية كتابه هذا توضيحاً منه لماذا توقّف عن كتابة الرسائل، فيُبرّر ذلك في صفحة 10 لماذا يكتب الرسائل ولا يكتب الرواية ليقول: "إنَّ كتابة الرواية كتابة لقيطة في حصن الرواية، الرواية لن تُعمِّر طويلاً، فلولا مجموعة من الجوائز لهذا الجنس لم تجد هذه المواليد المُشوَّهة". من هنا، فإنه يرى حريته في كتابة الرسائل التي يستفيض بها ويبتعد عن كتابة الرواية ليُؤكد ويقول: "لماذا عليَّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما تشتهي الكتابة ذاتها؟"

أما في الموضوع الثاني الذي سطره حج محمد بين جنبات هذا العمل، فقد كان حديثه عن معنى النُبل تحت عنوان "**لن أكون رجلا نبيلاً**". وعند الوقوف على هذا الموضوع، ولماذا اختار هذه الاستهلالية والذي قد يجد القارئ غرابة فيها وبطرحها، ندرك جلياً أنَّ هذا المطروح هنا وبهذه الصيغة كان نتيجة ألمٍ شديد، وجُرحٍ

غائر به صديد قد ألمَّ به وداهمه بغته عندما راسلته إحداهن لتقول له: "ينبغي أن تكون نبيلاً"! لتجد أنّ تلك الجملة قد أصابته بمقتل وبعصبٍ رئيسي؛ لتثور ثائرته، ويهيج ويموج، ويقول مدافعاً عن نفسه: لستُ كاتباً "غير نبيل" لأني أفشى أسرار حياتي الشخصية في الكتابة، لم أترك شيئاً إلا وتحدَّثتُ عنه". ثم يستكمل القول: "أنا كاتبٌ غير نبيل لأني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفية بكل حذافيرها"، ويؤكد في نهاية الفقرة: "ها أنا كاتب غير نبيل للأسف عند كاتبة الرسالة وعند كثير من القراء"، ثم تراه يُعزّي نفسه أو يلومها وهو يقول: "لم يخسر أحد من الكتابة كما خسرت نفسي"، ويختتم بهذا السياق ويقول: "إنني أؤكد أن ليس لي نصيب من مظاهر النُبل جميعها، لا في الذات ولا في التعامل ولا في العمل، فأي كاتب وأي رجل "غير نبيل" هو أنا إذاً؟ وعلى ذلك فمشروع "الرسائل" هذا الذي أصبح ناجزاً هو مشروع غير نبيل.

وبما أنّ فراس غير نبيل، فتحصيل حاصل أن تكون شخصيته مؤذية، ويكون هو شخصاً مُؤذياً مُزعجاً غير مرغوب به ولا مطلوب حضوره، وقد ظهر ذلك بقوله في صفحة 235:"مهمتي أن أُوذي كل من عرفت، هكذا تقول لي امرأة غاضبة. تبعث لي برسالة "حقودة"

تقول في جزء منها: "أنت تلحق الأذى بكل من عرفك". كما أنّ كاتبة وصديقة أخرى تقول له: "يا لك من كاتب، لم تُوفّر أحداً"، وتقول أخرى والتي تعتبر نفسها ضحية من ضحاياه:"كاتب مؤذٍ جداً"! وهنا يعترف ويقول: "الغريب أنني شخص مُؤذٍ، هكذا قال لي أصدقاء كثيرون". ويعود ويقول: "أنا مُؤذٍ جداً بالنسبة لها". ويستكمل: "لقد غدت الكتابة عنها كتابة تجلب لها التعاسة"، ويختم بالحديث: "لقد كانت هي أيضاً امرأة مُؤذية وأنا كنتُ كاتباً مُؤذيا"، "هي ذاتها تعتقد أنني كاتب غير نبيل". وهنا نجد كم كان حجم الحزن والمعاناة والجراح التي تسببت له تلك الكلمة، لتجده يتحدث عن الإيذاء في الصفحات (235، 236، 237) وحدها إحدى وعشرين مرة!

في الطرح الآخر ضمن هذا الكتاب كانت **رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح).** وقد بلغ عدد الرسائل المُرسلة منها له ثلاث رسائل، فيما أرسل هو لها أربع رسائل تكللت باللغة الجزلة والجميلة، والمشاعر الفياضة النابعة من أعماق فراس وذلك عندما قال لها في صفحة 17: "عندما أفتح كتاب الله لأقرأ فيه، تحاصرينني في كل دقة قلب"، ثم يقول بنفس الصفحة: "سأظل مُشتاقاً لكل التفاصيل التي كانت تسافر في دمائنا، وتشرح عنا حُبّنا وحنيننا، وتحفر روحنا على جدار

الوقت كي لا ينسى أحدنا أو كلانا تلك الروح التي اشتعلت بنا في كل لقاء، ونمت وأنبتت فيّ الحُبّ سبع مسافات خضر تفوح بنا في كل حين"، وأيضاً بنفس الصفحة: "يا غيمةً مُشبعةً بأنا، بماء الروح، تسكبينك فيَّ كأساً من ضياء ورؤى"، وفي صفحة 18 يقول: "فوضعتُ التراب في فمي وفمك حتى لا تُزهر النبتة على أطراف أصابعنا، وقد وجدت منبتها التي طلبته منذ سنين"، ومرة أخرى في صفحة 19: "أتنفسك وجداً وتتنفسني عبقاً أرجوانياً، فأنساني بينك، لأجد نفسي وقد تشكّلت نقطة حُب بين نقطتين هناك تُشكلان نهراً من أناي وأناك المُتوحدين على صدرٍ شهي"، ثم القول: "كم تهيأتُ اليوم لأكون بينك في خلاياك النادية، لتكون بيني في خلاياي المستطيلة المنادية"، وأخيراً: "ماذا فعلت بنا الأوقات ففتّت أرواحنا وشرذمت خلايانا، فرجعنا دوننا".

أما في صفحة 21 فقد ظهر الابتذال والمجون السافر مع (ش. ح)، ليرد عليها هو في قراءته الخاصة لرسالتها بذات المجون. ثم يستذكر أيامه الماجنة مع محبوبته في صفحة 24 ليذكر كل عضو فيها دون حياءٍ أو خجلٍ أو خشية. لكن على النقيض من ذلك وفي ذات الرسائل، يظهر لنا الإيمان العميق الذي يتحلى به وذلك عندما

قال في صفحة 23: "لا أفكر بشيء وأنا في غمرة الصلاة هذا اليوم إلا بهذا: يا رب لا تجعلني سبباً في إزعاج أي إنسان، وامنحني القوة لأكون إنساناً جيداً يُدخل السرور على قلب كل من له علاقة معي". ثم يقول بذات الصفحة: "تذكرتُ أياماً سابقة كيف كنتُ فيها فظّاً غليظ القلب مهووساً استجمع كل قدرة لشيطاني ليتغلب على ما تبقى في داخلي من نور". ويستكمل في اعترافٍ خطيرٍ منه لنفسٍ لوامة: "أنظر الآن إلى مساربي الداخلية، العتمة الكثَّة، ذات نتوءاتٍ مُزعجة، أحاول استجلاء روحي لعلها تنظف مما علق بها من أدران أرضيتي المُتَّسخة بكل أنواع الهلام الحقير".

وبتفحص ما جاء به الكاتب في متن هذا الكتاب والذي حاز على النصيب الأوفر منه، فقد كان فصل **رسائل (2016 و2018)** والذي بلغ مائة وإحدى وثلاثين صفحة، فيها خمس وستون رسالة منه إلى محبوبته؛ بعضها كانت خلال أيام معدودة وبعضها الآخر تراوح بين شهر أو أكثر. أما رسائل محبوباته له في هذه الفترة الزمنية، فكانت رسالة واحدة من (ل. م)، وإحدى عشر رسالة من (ف. ع). وبذات السياق، فقد كانت هناك **رسائل (2019)** بإحدى عشر رسالة منه لـ (ف. ع) والتي بادلته هي بسبع رسائل، ثم كان خمس رسائل منه

ضمن **رسائل (2020)** لـ(ف. ع) أيضاً والتي ردَّت عليه برسالةٍ واحدة. ثم ينتقل للحديث عن **رسائل (2021)** والتي بلغت ثلاثين رسالة مُرسلة منه لمحبوباته أو صديقاته (ر. غ)، (أ. س)، (ف. ع) ليكون الرد عليه منهن بأربع عشرة رسالة، ثم يعود لعرض **رسائل (2022)** ليكون حصيلة ذلك العام رسالتين موجهتين منه لإحداهن بادلته (ص. ز) بثلاث رسائل. وفي الختام، كان هناك جزءاً أطلق عليه اسم **رسائل صوفي**، وقد تضمن أربع رسائل من صوفي لفراس ليرد هو عليها برسالة يتيمة. ثم أخيراً كان هناك فصل مُتعلق **بقصيدة ورسالة**.

بالرجوع إلى كمّ هذه الرسائل، وبعد فحصها، وحلحة تركيباتها، وتفكيك جزيئاتها، يتضح لنا أنَّ جُلّها كانت مُخصصة للنساء دون أن يكون هناك حظ لذكرٍ واحدٍ على أقل تقدير. وقد تجلى ذلك وتم التأكد منه بداية بما كان من الإهداء في بداية هذا العمل الأدبي والذي قال فيه: "إلى كل امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحُب والتقدير". وليس دفاعاً عن فراس هنا ولا إشهاراً للسيف في وجهة، إلا أنه وحسب رأيي المتواضع، فإن الرسائل عادة ما تكون من القلب إلى القلب لا من القلم إلى الورقة، ولأن فراس قلبه مُتعلق بمحبوباته

ونسائه الواقعيات منهن أو الافتراضيات، فكان لا بد له من أن يُخصص كل هذا العمل لهن حتى يلج به قلوبهن ويتربع على عروشهن. وما أكد ذلك، ما استند إليه مما كان من الأدباء العرب والغرب والذين ساروا على هذا النهج وهذا الطريق فيما مضى، فسار هو على نهجهم وخطاهم؛ فقال في الحديث عن هؤلاء الثلة ورسائلهم واقتدائه بهم في صفحة 84: "إنه ليحلو لي على نحو استثنائي الحديث عن المُحبين، فهم أصدقائي وعشيرتي، وتربطني بهم أكثر من رابطة، فهم مرهفون رهافة تبدو طاغية ومؤثرة". وهنا نجده يتحدث عن رسائل هؤلاء المرهفين سيراً على خطاهم أو اتقاءً لشرور المُنتقدين له والمُعيبين على صنعته، فيذكر هنا رسائل فدوى طوقان وسامي حداد، وغسان كنفاني وغادة السمان، وآنسي الحاج وغادة السمان أيضاً، والفيلسوف الألماني مارتين هيدجر والفيلسوفة اليهودية حنا آرندت، وفرانز كافكا وملينا؛ ليؤكد أنّ كل هؤلاء كتبوا رسائل حُب وغرام. ثم يعود مرة أخرى في صفحة 159 ليؤكد ذلك بالحديث عن رسائل هؤلاء الكُتاب لمحبوباتهم فيذكر رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، ومرة أخرى رسائل كافكا إلى ميلينا، وآنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، وأنور المعداوي إلى فدوى طوقان، وحنة آرندت ومارتن هيدغر، وفرناندو

بيسوا إلى حبيبته، واليخاندرا بيثارنيك إلى مُعالجها النفسي ليون أوستروف.

وعلى النقيض مما قام به هو، يقول فراس في صفحة 166: "إنّ هناك رسائل من كُتاب وأدباء عالميين إلى ذكور وليس إلى إناث رغم أن بعضها افتراضي مثل رسائل يوسا إلى روائي ناشئ، ورسائل محمود درويش إلى شاعر شاب، ورسائل الشاعر ريلكة التي وجهها لشاعر شاب يدعى فرانتنز كزافر كابوس. ويستكمل في صفحة 167 فيقول: ثمة رسائل بين أديبين وليس بين كاتب وكاتبة؛ فهناك رسائل سميح القاسم ومحمود درويش، وقديماً رسائل جلال الدين الرومي إلى شمس التبريزي، ورسائل ريلكة إلى شاعر شاب، كما أنّ هناك رسائل بين أديبتين كما هو الحال بين فدوى طوقان وثريا حداد.

في ملاحظةٍ جوهريةٍ بارزةٍ عن رسائل فراس حج محمد إلى محبوبته أو محبوباته، أنّ تلك الرسائل قد امتازت وبشكل لافت بابتدائها وانتهائها بالغزل الجميل وكلمات الحُب الصادق والصافي أحياناً، وبالغزل الفاحش والكلام المبتذل أحياناً أكثر، وبسمةٍ عامة ظاهرة وشائعة؛ وإذا أردنا أن نحصد جزءاً يسيراً مما قاله في تلك الرسائل وعلى سبيل المثال لا الإجمال نجده يقول في صفحة 47 في

نهاية إحدى رسائله: "دمتِ جنّة في أرض أشواقي، باسمة كنجمة، باسقة كنخلة، مثمرة كشجرة دائمة الخضرة"، وفي نهاية رسالةٍ أخرى في صفحة 65: "فالروح تسعد كلما نهلت من خمرة حرفك"، ويقول في نهاية رسالة بصفحة 126: "دمت أجمل من الجمال، وأعمق من الفلسفة، أيتها الهادية إلى متون الفلسفة الروحية الجميلة"، وأيضاً في نهاية رسالة في صفحة 172: "لك القلب حتى ترضي، ولك الروح حتى تسعدي، ولك الشعر كله يا رب الشعر".

أما في الكلام الفاحش، والأيروتيكية، والنشوة والشهوة والشهوانية، نستطلعه يقول في افتتاحية إحدى رسائله في صفحة 80: "طبتِ شهوة وجنون حب"، ثم يقول في صفحة 122: "جميلتي اللذيذة، ونص كتاباتي الأشهى، أسعدت نشوة وشهوة وكتابة"، كما قال في افتتاحية رسالته بنفس الصفحة: "شاعرتي الجميلة، وجميلتي الناعمة كالحرير، حياك وحي الشعر وبياك أيتها الشهية"، وفي بداية رسالة بصفحة 160: "أسعدت أوقاتاً ونشوةً أيتها الكاملة في شهوتها وجنون حُبّها"، ويُبرّر حديثة هذا بالقول في نهاية رسالة في صفحة 164: "أُحبك أيتها الجميلة وقليل من العبث مع النساء لا يفسد للحُب قضية"، ثم تراه يختتم رسالة له في صفحة 212 قائلاً:

"إلى اللقاء أيتها الغنية بشهوة الجنون المُتّقد"، ثم في صفحة 222: "الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تُقاوم". وطبعاً غير ذلك الكثير.

وبالغوص في عنوان "الثرثرات المُحبّبة"، نجد أنها بالفعل ثرثرات مُحببة لشخص فراس، كيف لا وقد ذكر هذه الكلمة وتشكيلاتها جذرها (ثرثر) في كتابه هذا ما يزيد عن خمس وعشرين مرة! لتكون هذه الكلمة جوهر الكتاب وفحواه وأصل محتواه. هذا وقد تباينت هذه الثرثرات وتعددت حتى شكَّلت جسم هذا الكتاب ومتنه وأصله بموضوعاته المُتعدّدة التي تعدَّدت وتنوَّعت وتفرَّعت وأخذ يطرق أبوابها باباً وراء باب، وقد تجاوزت خمسة وثلاثين موضوعاً راح يدور في رحاها ويُحدّث عنها بإسهابٍ وتكرارٍ أحياناً، وباقتضابٍ وإيجازٍ أحياناً أخرى؛ فقد تحدَّث على سبيل المثال عن الحُب الخالص والنقي والتَّعلق بمحبوبته، كما تحدَّث عن المجون والجنس والأيروسية وتأليه المرأة، وتطرق للهموم والديون والبؤس والتشاؤم والحالات النفسية التي كان يمر بها، غير مهمل الحديث المُتكرر عن الإعاقة التي يُعانيها، إلى جانب تناوله الحديث عن الأسرة التي ينتمي إليها، والعمل بالإشراف التربوي الذي يمارسه، كما تطرق ملياً للكتابة وجدواها وإيمانه بها، ناهيك عن تعرُّضه بإسهاب للثقافة،

والأدب، والكُتّاب، واتحادهم، ووزارة الثقافة، والناشرين، والجوائز الأدبية ومعضلتها، لتراه يُعرّج بعدها على السياسة، والسلطة، والعمل الوطني، والقضية الفلسطينية. كما أنه لم يغفل الحديث وبأكثر من مرة وأكثر من موضع عن الصور والتَّعلُّق بها، غير مُتناسٍ الموضوعات الدينية، وفلسفة الإلحاد، والموت، وإلى غير ذلك الكثير من الموضوعات دون أن ينسى أو يتناسى أصدقاءه، وتحديداً صديقه الكاتب والناقد رائد الحواري الذي يُحب أن يُسميه الطليعي، والذي كان له النصيب الأوفر من الذكر بين دفتي هذا العمل، إضافة إلى صديقه المحامي والكاتب الحيفاوي حسن عبادي. هذا وقد أرهقنا كثيراً عندما راح يُظهر التناقض بحديثه حينما يفخر ويعتد بنفسه تارة، ويجلدها تارة أخرى على وقع من السوداوية والإحساس بالذنب لما اقترفت يداه وعيناه وحواسه جميعاً.

لقد كان حج محمد مُقتنعاً تمام الاقتناع بما كتب ونشر ضمن أروقة هذه الأوراق دون أن يخشى لومة لائم، أو سطوة حاكم، أو نقد مُنتقد، أو ظُلم ظالم؛ فوجدناه يقول بهذا الصدد وبكل قناعةٍ وبصوتٍ جهوريٍ عالٍ في مُحكم تعليقه على رسائل جمهوره في

صفحة 274 عن أدب الرسائل: "إنه فنٌ قديم، فيه يخرج الكاتب عن التزامه بحرفية الكتابة ليكتب بأريحية، وهو يندرج ضمن أدب البوح والاعتراف، وعادة ما يكون الأسلوب غير مُتقن، لأن من كتبه لم يُفكر بنشره، وما نُشر منه نُشر بعد وفاة كاتبه". ويستكمل: "تُتيح لي كتابة الرسائل الإطناب والانتقال من موضوع إلى آخر بحُرية أكثر من المقال".

وبالرجوع إلى فلسفته بهذا الشأن وهذا المضمار، فقد رأينا بأم أعيننا ما سطَّره هنا عن المجون والسفور والفُحش والفسوق والتي غزت رسائله بكل شراسةٍ ودون هوادةٍ أو مُهادنةٍ أو مُداراه؛ لتكون تلك الثرثرات غير مُحبّبة لي على الأقل بوجه خاص، غير أنها قد تكون مُحببة ومرغوباً بها له ولمحبوباته وللكثير من جمهوره العريض؛ فقد أتى على كل شيء مُتعلّق بالجنس والأيروسية دون مواربة، أو اتقاء، أو سترٍ، أو تستُّر، حتى أنه قال مُعترفاً بذلك في صفحة 47: "أصبحت فيها ماجنا بشكل مُرعب ومُخيف". كما أنه ذكر العلاقة الحميمية والعلاقة الجنسية في صفحة 49 مُبرراً ذلك بأن الروح هي من تطلب ذلك فيقول: "ممارسة الجنس بحُب حتى خارج العلاقة الشرعية سيكون لها لذّة النشوة غير المُتناهية ما

دامت الروح هي التي تطلبه". وزيادة على ذلك يقول في صفحة 50 إنه تعرف على نبتة في فلسطين تسمى (الآيروس النصراوي) ليؤكد أنّ هذا المصطلح ليس محصوراً بالبشر ولا حكراً عليهم فحسب، وإنما النباتات لها حظها منه أيضاً.

في هذا المقام، وفي هذا المقال، يقول كاتبنا الكثير وأكثر مما ينبغي أن يُقال، ولا يتسع المجال هنا لذكر كل ما خطر بباله وقال لكثرته واكتظاظه وازدحامه؛ فإذا أردنا التّبحُّر في هذا الشأن، فإن ذلك يتطلب كتابة مقال عريض خاص بهذا الموضوع، إلا أننا سنستعرض جزءاً يسيراً مما قال وثرثر، فعثرنا عليه دون تعبٍ منا أو تمحيص؛ فقد ورد قوله في صفحة 107 أنه عندما أخذته سِنةٌ من النوم فرأى محبوبته بكاملها حتى راح يصف أعضاءها عضواً عضواً ويذكر ما جرى بينهما بعد ذلك. ثم تراه يقول في صفحة 194: "على مدار الأيام السابقة حلمتُ بكِ وحلمتُ بنساءٍ أخريات، أصحو من مناماتي مهجوساً بك. ضاجعتك وضاجعتهن في تلك المنامات". ويستكمل في الفقرة التالية: "أفكر أنني لن أعود إليك إلا إذا كان لقاء المصالحة بيننا على مائدةٍ شهيةٍ طويلةٍ نتناول معاً أجسادنا بكل عنفوان".

وفي ذات السياق وفي صفحة 183 تحديداً والتي جعلها افتتاحية لرسائل (2020) فيقول: "من حليبك تُخلق ملايين الكائنات، وتتفتح بضحكتك الأزهار، وتتشبع بشهوتك شهوة الإلهات والحوريات، يا لك من امرأة بحر لذة لا ينتهي، وبركان شهوة لا عاصم منه إلا به". ثم في نفس الصفحة: "تراوديني عن فمي المعطوب بالقبلة المشبعة المحتدمة"، ثم يستكمل كلامه المُبتذل بصورةٍ فاحشةٍ فاضحةٍ ويقول في صفحة 190: "كم أتمنى أن أتذوق طعم لذتك ونشوة شهوتك، لكنك ما زلت تتمنعين وترفضين"، وبنهاية صفحة 222: "كم أنت امرأة شهية، بعيدا عن حشري بقائمة الذكور والنسوية، في لحظة أنسى من أنا، وأرتد إلى طبيعتي الوحشية غير المُهذبة، وأفكر في افتراسك دون أدنى رحمة". ويكمل: "لا أرى إلا الشياطين تأزني أزاً لآخذك دفعة واحدة دون مقدمات"، وفي صفحة 223: "أنا لا أشتهيك وحسب، بل لا أعرف إلا أن أشتهيك كل الوقت"، ثم في صفحة 230: "ربما لم يعجبك أنني أشتهيك، وأطلب ممارسة الحب معك، وتخافين من ذلك، لماذا تخافين من الكتابة إليَّ وممارسة الحب معي؟ فهل ستجعلك الكتابة هامشاً وحواشي كما توقعتِ. إنكِ أهم متنٍ في مشروع الكتابة، فكيف تتحولين إلى حاشية هامشية".

ليس كل ما كتب هذا الكاتب "الفتى الطريد المشاكس" كما يقول عنه إبراهيم جوهر في صفحة 276 يُعيبه أو يضعه في قفص الاتهام لينال عقابه وعقوبته أمام العالمين، فهو عنده "جميلٌ ومُدهش" و" يكتب بوعيٍ وحُزنٍ كبيرين ليُعري المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تُصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة"، فهو "حالة مُتشظية" و"أفكاره جنونية" كما قال عنه شريف سمحان بنفس الصفحة، وأنه "كاتبٌ مُتجدد ومُتمكن من أدواته ومُفرداته وتطويعه للنص". وأنا هنا أوافق هذين الرأيين لما عاينته بأم عيني من جميل ما كتب كاتبنا بلغته الجزلة، ومشاعرة الدافقة الفياضة النابعة من الأعماق، إضافة إلى أحاسيسه المُرهفة التي ركب مركبها وقاد دفتها مُستعيناً برنين حروفها حتى أوصلته إلى الشاطئ الذي يُريد هو بالتحديد؛ فنجده يقول في هذا الصدد وبكل صدق في صفحة 28: "تحتلين كل مساحة من كياني بعد أن عجنتِ تلك الخلايا الناعمة بجسدي المُتيبّس، فانبثقت أولى القصائد تصف ذلك المعروف لديّ المُعرَّف بقطعة سكر وكأس سُكْر"، وفي صفحة 29: "أعلم أنَّ ما بين الموعد والموعود وقت يموت"، وفي صفحة 30: "اكتملتِ وحدك ونقصتُ وحدي"، وفي ص 52: "إنَّ الكلمات خادعة، خائنة، وربما خانعة، خاسرة، خائبة، وبغض النظر عن

خاءاتي المتكاثرة، ربما سيكون لها بعض نفع، فرب نافعة ضارة"، وفي صفحة 58: "ما زال سحرها الغيبي يأكلني يومياً ويقتات على روحي"، وبنفس الصفحة: "كيف كانت ذاتي تنسلخ من ذاتي ذاتاً أخرى، بل ذوات تتفتت كائنات نشوى راقصة فرحاً بذلك الجمال"، وفي صفحة 59: "أنتِ الحبيبة التي أشتاق رشفة من كأس خمرتها لعلي أهدّئ ولو قليلاً من صهيل الجنون في دمائي المُتصببة عشقاً وشوقاً وأرقاً"، وفي صفحة 104: "لا أريد إلا أن أحيا بالموت فيك، ولا أموت إلا بالحياة فيك"، وفي صفحة 228:"كنتِ أول حرف وبوح بامرأة الشوق واللظى والحنين، كنت من أول ليلة ياسمينة للفرح المُقدس والنشوة المُعدة بأرجوانية الصفائح الإلكترونية، كنتِ أنثاي وكنتُ إنسانك حاضرك ومستقبلك، كنتُ لكِ وكنتِ لي، تذكرين جيداً كيف كنا وكيف أنتِ الآن تهربين من معمعة الصدى الصارخ في كل كيان الكون بأن جريمة عاطفية تُرتكب بحق ذلك المصلوب في الريح، أتدرين من هو ذلك المنقوع في رماد ارتعاشه؟ إنه أنا"، وفي صفحة 234: "ولكنا خلقنا اللحظة التي فيها نحترق سوياً في مراشف العشق الندية التي تُحولنا إلى نبتتين خضراوين نابتتين على أطرافنا"، وبنفس الصفحة أيضاً: "تعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي"، وفي صفحة

247: "أعود اليك وتعودين إليّ كلما ضاقت النفس بأسرارها، لأجدك حضناً دافئاً، يحضنه الصباح، ويخصه بكل بوح جميل في معناه، مسافر نحو دهاليز النفس، يفتش عن كل بارقة نور تسطع هناك، لتلقاني وقد تهيأت لأكونك وردة تضمينها إلى ورود بساتين العاشقين، فترويها بكأس خمرة المُعتقة الحنين" ويستكمل: "أعود اليك كطفل بريء إلا من غواية الحب العفيف الذي يطلبك كل صباح ليراك أسنى وأبهج وأكمل"، أما في صفحة 248 فيقول: "فما هو أنا غير ذلك العمر المتراكب في ذاتي ووجداني وعقلي، صقلته التجارب ونحتته الظروف ليخرج في نهاية المطاف أنا بصيغة ما"، وأيضاً بنفس الصفحة: "يكتبنا الزمان بسفره كما يحلو له القدر، وهل لنا أن نعترض؟" وأيضاً: "من منا لا ينظر إلى سنيّ عُمره المقطوعة كأنها غابر وعابر وشيء ما".

وفي التشخيص الواقعي والنهائي للحالة التي اعترت فراس والتي رحنا نتفحصها روياً على وقع ما خطّه قلمه بتلك الرسائل لمكونات هذا الكتاب، نُجمل ونقول: إنْ ليس فراس بالرجل السيء، وليس مؤذيا ولا غير نبيل كما قيل عنه. ورغم تحفظي على الكثير من مواضيعه المطروحة في رسائله الأيروسية التي جاء بها مُتبّعا للمنهج

الأيروتيكي والذي يتحفّظ عليه الكثير وينتقده الأكثر كما بدا في رأي (سماح خليفة) التي انتقدته وقالت في صفحة 274 ضمن فصل (التعليقات على الرسائل): "إنّ ما كتبته سابقاً بخصوص المرأة أو الأنثى يكاد يكون مُتشابهاً أو ربما هُيئ للقارئ ذلك، ولذلك أصاب القارئ بعض الملل من جراء ذلك"، كما قالت (نور التوحيد يمك): "لستُ أدري ماذا يُسمى هذا اللون الأدبي، ربما هو بوح محشو في رسالة أو أنه فنٌ أعمق منه، وأن ما يُسميه هو تحرراً في كتاباته يُطلق عليه السواد الأعظم من القراء في دولتنا (انحرافا) خاصة أننا بلد محافظ موشوم بالحياء، لا ننكر أنه موهوب وإبداعه يسبق زمانه، لكن كتاباته كما قلت مُتحررة، ولن تجد بسهولة تقبُّلاً لها لدى القُراء".

وفي هذا الشأن، ورغم كل شيء خاضه بين جنبات هذا الأدب، نرى أن الكثير من جمهوره القُراء والكُتاب والأدباء راحوا يمتدحونه ويطرون على كتاباته، ونذكر منهم سامح أبو هنود، مريم ربيع، مادونا عسكر، خلود نزال، ونزهة الرملاوي، كما امتدحته إحدى صديقاته (ع. ح) في صفحة 277 قائلة: "إنه يمتلك ناظوراً له قدرة على التسلل لأعضاء الجسد لأخذ صورة تشخيصية لها، إضافة إلى

صورة طبقية للدماغ، قادر على فض عُري الروح، وعلى رؤية نفسك عارياً أمام المرآة مع بعض النتوءات والتضاريس والتشوهات غير المرغوبة في الجسد، وهذا شيء لا يجسر عليه أحد. وليس صديقته (ع. ح) هي فقط من تقول ذلك فحسب، بل إنّ إبراهيم سرحان يقول له: "تتحفنا دائماً بإبداعاتك وينتابنا إحساس أن ما عجزنا عن استخراجه من قلوبنا قد أتى لنا جاهزاً وعلى طبقٍ من ذهبٍ من خلال بلاغتك وصورك البيانية الرائعة". فيما تُؤكد ماجدة الفرجاني القول: "لولا نظرياتك العلمية المدروسة جيداً وبعض كتاباتك وأشعارك الجيدة فلن تجد قارئاً واحداً"، أما جمانة العتبة فتقول: "لا زلت أرى فيك كاتباً فذاً ورائعاً رغم اعتراضي على بعض النصوص والأشعار". وتستكمل: "الأهم بأنك تُسطّر بقلمك ما ينبش أفكاراً لم يتسابق إليها كُتاب آخرين، فأنت مُميَّزٌ بكل كتاباتك". وتختم كلامها: "هناك من ينتظر منك الأفكار الجديدة والجميلة، فلك الحق أن تكتب عن الحق والخير والجمال. سأبقى أقفز عما يُزعجني وأعمل على قراءة باقي النصوص". ويقول زياد الجيوسي: "يا صاحبي أنت مُشاكس، ولست شريراً"، وتقول زهراء فاضلي: "شخصيتك الواضحة والصريحة انعكست على كتاباتك وجعلت الوضوح يتسيد على ناصية الكتابة لديك، أي عندما كنت

أقرأ ما أرسلته لي، كنتُ أراك دون قناع لا توظيف رمز، لتقي نفسك من الآثار المُوبقة، وهذا ما يجعلني أخاف عليك من قلمك". وتختم قولها: "الأمر إليك، وافعل ما تراه صواباً بشرط ألا تُسبب الأذى لنفسك ولمن يحتاجون لحضورك بجانبهم". وتقول منى النابلسي: "أنت كلما احترقت أشرقت أم أنك كلما أشرقت احترقت؟ ستقتلك الكتابة، أرجو لك موتاً مُدهشاً وحياة أبهى من الحياة". وهذا صديق له على الفيس بوك يُجمل القول عنه: "كنتُ أظن أنّ الأطباء فقط يكتبون وصفات تُصرف من الصيدلية، إلا أنني اكتشفتُ أن الشعراء والكُتاب أيضاً أطباء". فيما تقول قمر عبد الرحمن أيضاً: "لو كان هناك من يُقدِّر الأدب كما يجب، لكنتَ بلا مُنازع شكسبير فلسطين. وتستكمل: "لا تستعجل، ربما المجد الحقيقي بعد الرحيل، وهذا مُفرحٌ ومُبكٍ في ذات الوقت".

وفي الخلاصة نقول: إنَّ الحالة والهالة والمآلة التي جاء بها فراس حج محمد هي حالة فريدة في جوهرها ومظهرها ومغزاها ومستواها أكاد أُجزم أنه لم ينازعه عليها أحد، ولم يقتفِ أثره أيّ كان؛ فقد تطرَّق في كتابه هذا إلى كل مُعتركات الحياة اليومية وما عاينه وما عاناه على هامشها وفي متنها وصُلبها وبين جنباتها؛ وناهيك عما تناوله

من موضوعاته الشتى المتضاربة الاتجاهات بثرثراته المُحببة وغير المُحببة، إلا أنه قد أبدع لغةً ومشاعر، وعزف نشيداً فريداً من نوعه، واقتبس من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعان بأقوال الصحابة، ولقَّح رسائله بالشعر أحياناً، وشرَّق وغرَّب بأحاديثه وهو على قناعةٍ تامةٍ بما يكتب؛ حتى بات كل موضوع قد تطرَّق له ضمن هذه الرسائل يصلح لأن يُكتب عنه مجلد، أو رسالة ماجستير، أو أطروحة دكتوراه، أو حتى في أضعف الإيمان، مقالة نقدية مُستثقلة، بليغةٍ، زخمةٍ، ومُكتنزة.

رسائل الكاتب فراس حج محمد في كتاب جديد:

صدر مؤخّراً عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس، كتاب "الثرثرات المحببة". يضم مجموعة من الرسائل التي كتبها حج محمد إلى مجموعة من الشاعرات والكاتبات. يقع الكتاب في (292) صفحة، صمم الغلاف الفنانة ميسم فراس، وتصدّره لوحة "القارئة الحسناء" للفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد".

ناقشت هذه الرسائل موضوعات متعددة، اجتماعية وأدبية وفلسفية وتربوية وتعليمية، عدا موضوع العلاقة الحميمة بين الطرفين الذي سيطر على كثير من الرسائل، بغض النظر عن

موضوعها والقضايا التي يناقشها. واستحوذ الموضوع السياسي على كثير من الرسائل، إذ يظهر في هذه الرسائل موقف الكاتب المعارض للسلطة الفلسطينية وسياستها، ومؤسساتها الثقافية، وأمراض تلك المؤسسات التي كانت كارثية في جميع مفاصل المجتمع الفلسطيني.

لم يصرّح الكاتب بأسماء هؤلاء الكاتبات سوى بتوقيع أسمائهن بحرفين من أسمائهنّ، وبلغ عددهن (6) نساء وهن: "أميرة الوجد (ش. ح)، صوفي، ف. ع، إ. س، ر.غ، ص. ز".

بدأ الكتاب بإهدائه "إلى كل امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحب والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهي، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله". وقدّم الكاتب لهذه الرسائل، بثلاث مقدمات، أجاب في الأولى عن سؤال "لماذا توقفت عن كتابة الرسائل؟"، فكانت الإجابة الأولى بسبب التكنولوجيا التي قضت على الظروف الطبيعية لكتابة رسالة حب، وفي موقع آخر يقول إنه توقف عن كتابة هذه الرسائل مرغماً- وإن بقي شيء منها في نفسه- بسبب أن "المرسل إليه لم يكن يحفل بتلك الرسائل".

وفي المقدمة الثانية (في معنى النبل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً) يناقش مسألة تثار مع كل كتاب للرسائل؛ وهي مدى أخلاقية نشر رسائل الطرف الآخر الذي يشارك الكاتب الكتابة والرد على الرسائل، ليحسم الجدل لصالح النشر، بقوله: "أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر". ويختم مقدماته بمجموعة من الاقتباسات لأدباء وأديبات، تبين وجهة نظرهم من فن الرسائل وأهمية هذا الفن بين المرسل والمرسل إليه، إذا كانا حبيبين أو على علاقة ما.

بدأت الرسائل بمجموعة رسائل موجهة إلى "أميرة الوجد" (ش. ح)، وكان تاريخ أول رسالة 2012/6/5، وآخرها 2021/4/27، وتضمّ هذه المجموعة (8) رسائل، بما فيها ردود أميرة الوجد على تلك الرسائل.

واشتملت رسائل 2016 و2018 على أكثر من (100) رسالة والرد عليها، في حين اشتملت مجموعة رسائل (2019) على (18) رسالة وردّ. أما رسائل 2020 فكانت (6) رسائل فقط، ورسائل 2021

(42)، و(5) رسائل في باب رسائل 2022. وأما الرسائل المتبادلة بين الكاتب وصوفي فيفرد لها مجموعة خاصة، واشتملت على (4) رسائل و(نص) وجداني ذي طابع أيروسي، كتبته صوفي تخاطب فيه الكاتب.

يختم الكاتب الرسائل بقصيدة "عشرون قنديلا لحبيبتي الغائبة"، وما جاءه من رد؛ رسالة تبين فيها كاتبتها إعجابها بالقصيدة وتعبر فيها للكاتب عن حبها له بقولها: "أنار وجه قصيدتك بكل حب وبكل اشتهاء".

وأخيرا ينهي الكاتب كتاب "الثرثرات المحببة" بمجموعة من تعليقات الكتاب والكاتبات والقراء حول الرسائل وموضوعاتها عندما نشرت في المواقع الإلكترونية والصحف أو على صفحات الفيسبوك. ويثبت بعد هذه التعليقات مقال: "لقد آلمني أن حبيبتي تسرقني القصيدة"، وفيه يسجل موقفا بينه وبين واحدة من هؤلاء النساء اللواتي راسلنه، وقد كتبت قصيدة تحاكي قصيدة أرسلها لها.

الخطوط الشائكة بين الأيروسية والدينية في الثرثرات المُحببة

د. سرمد فوزي التايه

عقب نشـــرنا للمقال الأول المُعنون بـــــ(اللســـع الحامي للثرثرات المحببة لفراس حج محمد) بتاريخ 2025/11/1 والمتضمن ما تناوله الكاتب والشـــاعر والأديب فراس حج محمد في كتابه (الثرثرات المُحببة) والصـــادر عن دار الفاروق للثقافة والنشـــر في نابلس في العام 2024 بموضـــوعاته المتضـــاربة الاتجاهات، وثرثراته المُحببة وغير المُحببة، قلنا إنَّ كل موضـــوع قد تطرَّق له فراس ضـــمن هذا العمل وضمن تلك الرسائل الكثيرة التي دَوَّنها وأظهرها للعلن يصلُح لأن يُكتب عنه مُجلد، أو أطروحة دكتوراه، أو رسـالة ماجسـتير، أو حتى في أضـــعف الايمان مقالة نقدية، مُســـتقلة، وبليغة، وزخمة، ومُكتنزة. وها نحن الآن نتطرق لواحدة أو اثنتين من النُّهُج التي راح ينتهجها هذا الكاتب "المشـــاكس" كما نعته كل من إبراهيم جوهر وزياد الجيوســـي في هذا الكتاب في الصـــفحات 276، 277 ليكون وســـماً خاصـــاً به دون ســـواء من خلال القضـــايا المطروحة ضـــمن عمله الجزل الغريب الذي راح يعتريه التناقض الواضح، والتضارب الفكري الصـــريح؛ وذلك لما جاء به قلمه صـــاحب المداد المتباين

أيضـــاً؛ لـدرجـة أنّ القـارئ قـد يتيـه فكره، ويحـار في أمره ورأيـه؛ فيصـــبح حيران لا يعود يعرف كيف يُصـــنّف هذا الكاتب، وكيف يُعطيه حقه، وأين يضعه بأي مكان، وأي رقعة، وأي قالب؛ ليتبيّن، ويتعرّف على صـــورته، وهويته، وشـــخصـــيته الحقيقية، ونهجه، ومنهجه البَيّن المُبين؛ فما أن تطرَّق، وأسهب، وارتوى، وغاص كاتبنا في الأيروسية حتى قلنا عنه إنّه فاجرٌ، ماجنٌ، سافر. ثم ما لبث أن سـحب البســاط من تحتنا سِــراعاً وراح يُحدِّثنا عن يومياته وسلوكياته التي اصطبغها بالكثير من الصبغات الدينية المحافظة المُلتزمة؛ مُكللاً إياها بأسلوب إيماني عميق، ومُجلّلُها ومُجمِّلُها بكثير الاقتباس من القرآن الكريم والسـنة النبوية؛ ما يعجز عن الاتيان بما جاء به كبار مشايخ عصره وزمانه.

بادئ ذي بدء، وإذا ما ارتضـينا الغوص والإبحار بين دفات هذا العمل على سبيل الطرح لا الحصر طبعاً، غير مُتناسين جُلَّ وجليل وجلال الأعمال الأدبية التي قام بإنجازها وإظهارها للعلن ثم أهدانا اليسير منها مثل (فتنة الحاسة السادسة، نسوة في المدينة، في تأمل تجربة الكتابة على هامش كتاب نسـوة في المدينة، الصـوت الندي، من يوميات الحرب على فلســطين، ....)، فإننا نلحظ وبما لا يدع

مجالاً للشك والريبة بروز وتضخم الابتذال، والمجون، والسفور ضمن مواضيعه المطروحة التي راحت تعتلي وتعتري صفحات كُتبه ومنشوراته بشكلٍ عام، وصفحات هذا الكتاب بشكلٍ خاص وبأكثر من واقعة وموقع وبكل صراحة وإبانه وفضحٍ للمستور دون مواربة، أو استتار، أو تَخفيٍّ بين السطور؛ فقد جاء في هذا المحور بدايةً وضمن هذا النهج رَدّه علانيةً على إحدى عشيقاته (ش. ح) التي لا أدري بالضبط أهي شخصية حقيقية أم هي مُجرَّد خيالٍ وافتراضٍ لما راح يعصف فكره وذهنه؛ فتجسدت أمام ناظريه؛ ليبني لها شخصيتها وكينونتها، ويُلبسها ثيابها وعافيتها؛ لتبدو أنثى كاملة مُكتملة له كما يُحب ويُريد وبكل أناقتها وتجلياتها! وبغض النظر عن ماهيتها إن كانت حقيقية أم افتراضية ضمن دائرة الوهم والخيال لديه، فقد وجدناه يَرُدّ عليها في قراءته الخاصة لإحدى رسائلها في صفحة 22 مُستذكراً أيامه الماجنة معها؛ ذاكراً ومُشيراً إلى كل عضو فيها! وليته اكتفى بذلك وكفى، بل راح يقول في صفحة 28: "لم أظفر منكِ بقُبلةٍ أو غمرةٍ أو لمسةٍ عدا لمس يديك النحيلتين، لم أجرؤ على أن تمتد يدي الوحيدة لأتحسّس...." وراح يذكر أعضاءها الجنسية عضواً عضواً، وهو في قمة زهوِه وانشراحه! هذا ولم يكن هو وحده من راح لهذا

الابتذال والوصف الفاضح والمُبتذل للأعضاء الجنسية خاصتها، بل شاركته محبوبته في ذلك! وقد ظهر ذلك عندما قال عنها في صفحة 29: " كانت تريد أن تُسمي الأشياء بأسمائها كما هي..."، وراح يذكر ما ذكرت من تلك الأعضاء صراحةً دون مواراة، أو مواربة، واستحياء.

ومن باب الاعتراف بالمجون صراحةً، نجده يقول في صفحة 47: "أصبحتُ فيها ماجناً بشكلٍ مُرعب ومُخيف". ثم راح يتحدث في صفحة 49 عن العلاقة الجنسية تبريراً وتباهياً ويقول: "مُمارسة الجنس بِحُب حتى خارج العلاقة الشرعية سيكون لها لذة النشوة غير المتناهية ما دامت الروح هي التي تطلبه". وزيادة على ذلك، يقول في صفحة 50 أنه تعرَّف على نبتة في فلسطين تسمى (الأيروس النصرانية) ليؤكد أنَّ هذا المصطلح ليس حكراً على بني البشر دون سواهم، وإنما بعض النبات أيضاً وهذه النبتة تحديداً التي تشبه فرج المرأة تعكس وجهة نظره وما يريده، ليؤكد فرضيته، فيرتاح ضميره.

من هنا، وحسب وجهة نظره وسلوكه الذي يراه طبيعياً، فطرياً لا حرج فيه ولا تحرُّج، وكفلسفة خاصة به يبدو أنه مقتنع تمام

الاقتناع بما يدَّعيه ويُمارسه، نجده يقول في صفحة 103 تأكيداً لجاء به آنفاً: "الحُبّ بين شخصين هو أن يكونا أيروسيين حتى الموت". ثم يقول في صفحة 231:"الحُب شعور بالرغبة في الاتحاد والالتحام رمزياً مع الحبيب وبوابته الجسد، فلم يُخلق الجسد على هذه الهيئة دون أن يكون له دور فيما هو أهم وأعقد وأجمل". ويعود ويُؤكد وجهة نظره في هذا المضمار قائلاً في صفحة 130: "الجسد ليس عفونة يجب أن نتخلص منها، إنه بوابة الروح والامتزاج بها". لذا، فقد قام بتعريف الحُب بطريقته الخاصة في صفحة 104 قائلاً: "الحُب أن تعيش سعيداً كل لحظة، تغتسل فيها مع من تُحب، ويختلط الدم بالدم والماء بالماء، ويصبح الجسدان جسداً واحداً". ويستكمل في صفحة 105: "أرى أنَّ من تُحبها وتُحبك يجب أن تصلا معاً إلى قمة النشوة الروحية المُتمثلة بالممارسة الجنسية، عدا ذلك فإنه فلسفة خاوية من أي معنى وتفتقر إلى المعنى الحقيقي من إيجاد الخلق على هذه الشاكلة". من هنا، وعطفاً على ذلك وهو مقتنع تماماً بفعله وقوله، نستمع إليه وهو يقول لإحداهن في صفحة 81: "بي رغبة شديدة في مضاجعتك هذا الصباح، استحضر رائحة أنوثتك كما أتصورها وأنت للتو مبتلة بماء الشهوة الدافئة". ثم تراه يسترسل في الفقرة التي تليها

ويقول: "بي رغبة كبرى لأسكر فيك، لأسكر كلما انغرست بلحمك، تشفيني الحمرة في أعضاءك....."، وإلى غير ذلك من صريح الوصف وتفصيل الشرح! ثم راح يختتم هذا المجون في صفحة 183: "من حليبك تُخلق ملايين الكائنات، وتتفتح بضحكتك الأزهار، وتتشبع بشهوتك شهوة الآلهات والحوريات، يا لك من امرأة بحر لذة لا ينتهي، وبركان شهوة لا عاصم منه إلا به."

وإمعاناً منه في الانغماس في اللذات والشهوات دون أن يُبالي بحُرمة دين، أو يترفع إتباعاً لأعرافٍ أو تقاليد، أو يتستَّر ويستتر بسبب ما حلّ به من بلاءٍ وابتلاء، نجد أحاديثه التي ما زال يخوض ويغوص بها في العبث والفسوق طافيةً على السطح دون أن يحسب أي حسابٍ لحياءٍ، أو خجلٍ، أو تقوى ولأيٍ كان! فنجده يصدح بحديثه الصريح غير المضبوط ويقول في صفحة 183: "تراوديني عن فمي المعطوب بالقبلة المُشبعة المُحتدمة، وتتأبين عليّ في مساء مُفخخ باشتياق رؤيتك عارية كقطعة ماس مُبتلة بماء الشهوة الحارقة، فيا لله كم أشتاق رائحة ....."، ويستكمل بكلامٍ ووصفٍ مُبتذل، وبصورةٍ فاحشةٍ فجّةٍ عازياً ذلك إلى طبيعته الوحشية- حسب اعترافه- وذلك عندما قال في نهاية صفحة 222: "كم أنتِ امرأة

شهية، بعيداً عن حشري بقائمة الذكور والنسوية، في لحظة أنسى من أنا، وأرتد إلى طبيعتي الوحشية غير المُهذَّبة، وأفكّر في افتراسِكِ دون أدنى رحمة.... لا أرى إلا الشياطين تؤزني أزاً لآخذك دفعةً واحدةً دون مُقدمات."

لم يكتفِ كاتبنا بالإبحار في علاقاته الواقعية، ولم يستكفِ بما روادته عنه نفسه بالحديث النظري أو التطبيق العملي لما كان يريد ويشتهي من عالم النساء الواقعيات، بل راح يغوص في بحور علاقاتٍ افتراضيةٍ دون أن يخشى البلل، أو يخاف من الغرق؛ فكيف لمُبتلٍ من الواقع الحقيقي أن يخاف من البلل في الواقع الافتراضي! فها نحن نستطلعه عن قُرب وقد راح يتحدّث ويبوح لقارئيه جهاراً نهاراً دون استحياء عن الكثير من مُغامراته بهذا الصدد؛ فنتحسسه وهو يروي لنا عن واحدةٍ من مغامراته مع واحدةٍ من معشوقاته في الصفحات 162 و163:"أخبرتها أنني مللت من العلاقات الافتراضية، وأنني أرغب في علاقةٍ حقيقيةٍ مع امرأةٍ حقيقة. اتخذتُ الموقف ذاته مع امرأةٍ اجنبية كانت ترغب في إقامة علاقة معي في "تويتر" ورفضتُ ذلك جملةً وتفصيلاً". ويُكمل: "لم أتبين في الحقيقة هدفها من التَّعرف إليّ. هل كانت تريد صداقة أم

كانت تريد تزجية الوقت بالحديث والممارسة الجنسية الافتراضية، هي لم تكن تعلم أنني مُتخم من العلاقات الافتراضية إلى حد القرف، لكنني رغبت في امتحانها لأكشف عن أهدافها، طلبت منها رويداً رويداً أن تتعرى بالكامل وتمارس شهوتها كأننا في السرير."

وحتى يَشعُر هو، ويُشعِر من حوله أنَّ ما يقوم به أمر طبيعي فِطري تطلبه النفس البشرية الذكورية والأنثوية على حد سواء، وحتى يُعطي لنفسه أوسع مساحةٍ من التبرير لهذه المثلبة وهذا الشأن الشائن دون أن يدخل في دوامة تأنيب الضمير أو جلد الذات، نسمع نبض قلمه وهو يتحدث في صفحة 94 عن الأيروسية، والإباحية، والكُتاب الذين اهتموا بهذا الشأن، وكانوا قدوة له فسار على نهجهم؛ فقد عمد إلى تِعداد وذِكر كل من كان له باع أو ذراع في هذا الشأن؛ فذكر كل من جورج باطاي، وبوكوفسكي، وبابلو كويلو، وتوني مغاوير، وعمرو بن كلثوم، وأبي نواس، ومي زيادة. وكأن هؤلاء منارات يُنظر إليهم بعين الاحترام، والتوقير، والتبجيل. هذا ولم يكتف بهذا الذِكر لهؤلاء الكُتاب والأدباء فحسب، حتى عاد يُبرر ويقول في صفحة 95: "إنَّ من يتابع أخبار التّحرّش في أوساط الفنانين، والسياسيين، والمثقفين، يُدرك تماماً

أنَّ الرجل هو الرجل وهي طباعه المفطور عليها في امتقاعه بماء شهوته، ليظل عبداً لعضو قبيح". ويقتبس من ذلك ما قاله جورج باطاي وعلي بن أبي طالب القول: "تُطلب المرأة لأقبح ما فيها". ويختم هنا بالقول في صفحة 100: "لا أحب أحداً أن يكون وصياً على كتاباتي، يُوجهني ويقودني على هواه بدعوى التقوى....، أحبُّ أن أشعر بالحرية، حتى لو كانت حرية موهومة."

وعن دمج وتلقيح العمل الماجن الذي يتحدث به ويكتبه مع الأدب البليغ الذي هو ضليعٌ به ويمارسه، ويعشقه حتى النخاع، نتكشف أنَّ حياته صارت تتذبذب صراحة وبكامل إرادته بين طلبه وعشقه للجنس، وبين العمل الأدبي الغزير المتدفق من قلمه وقلبه وعقله على حدٍ سواء دون هوادةٍ، أو عوائق، أو معيقات. وكأنهما- الجنس والكتابة- في حياته توأمان لا انفضاض، ولا انفصام لأحدهما عن الآخر، ولا حدود بين هذا وذاك! وكأن كل واحدٍ منهما يُعطي الطاقة والوقود للآخر ليجعل صاحبهما يُبحر بطريقته الخاصة، ويصل إلى الشاطئ الذي يُريد. وتأكيداً لهذه الرؤية وهذه الفلسفة، نقرأ له في صفحة 89 القول: "لولا الحرية لم توجد كتابة ناضجة، فأدبنا الحديث في مجمله يُعاني من الإعاقات والتشوهات الفكرية نتيجة

تلك الأفكار التي تحصـر الكاتب في خانة المُقدَّس الوهمي الذي يُفتت الأفكار ويجعلها رماداً لا تنفع أمّة ولا تُغيّر مُجتمعاً". ويكمل في صـفحة 230: "ربما لم يُعجبكِ أنني أشـتهيكِ، وأطلب ممارسـة الحُـبّ معـكِ، وتخـافين من ذلـك. لمـاذا تخـافين من الكتـابـة إليّ وممارسـة الحُبّ معي؟ فهل سـتجعلك الكتابة هامشـاً وحواشي كما توقعـتِ. إنـكِ أهم متنٍ في مشـروع الكتـابـة، فكيف تتحولين إلى حاشيةٍ هامشية ."

ومع كل هذا، إلا أنه ومن غريب طباعه، ما فتئ يُبرر لنفسـه هذه الأفعـال التي تسـتهويه ويسـتنكرها على غيره، ليبرز هنا تناقض الدوافع، وتباين الأهواء. ولو بقي على حاله، لقلنا إنه مُبتلى وكفى. أمـا أن نجـده يُنكر على غيره مـا يقوم بـه، فهـذا جِـد غريـب؛ فقـد انتابنا ما جاء به في الصفحة 92 عندما قال: "هزني بعنفٍ كبيرٍ من داخلي ما علمته من تطور العلاقة بين صـديقي الشـاعر وحبيبته المتزوجـة التي عَرفـتُ أنهـا تُمـارس الجنس معـه تـاركـةً بيتهـا وعملهـا وأولادهـا". ويكمـل في الفقرة التـاليـة عـاملاً على تقـديس نفسـه وتنزيهـا من هـذا العمـل المشـين فيقول: "أعرف أنني أفكر فيـكِ بجنون، ولكنني لن أقدم على أن أكون سـبباً في شـعور شخص آخر

بالألم والخديعة". وبسبب هذا الحُب الجارف من هذا العاشق المجنون - على حد زعمه- يُبرر ذلك قائلاً: "خوفي عليكِ مني، وخوفكِ مني، وخوفي من نفسي حتى وأنا أتخيلكِ في وضع جنوني ما. أحاول أن أقتل المُحبّ المهووس في داخلي، أسعى إلى إعدام العاشق المجنون". ويُنهي: "أخجل من نفسي من كل تصور سيئ مَرّ في فكري". هذا وقد اكتشفت محبوبته هذا التناقض في سلوكه وحديثه، فقالت في رسالتها له في 2018/7/18 في صفحة 93 فقالت: "هذا التَّحوّل في مفرداتك من رسالة إلى أخرى يُربكني، بل يُوقعني في مأزق التذبذب بين حالاتك الشعورية."

أما عن الصور وتعلّقه بها، وتوظيفه إياها في هذا المضمار، فحدِّث ولا حرج. فقد أسهب إسهاباً كبيراً في هذا المضمار، إلا أنه لم يصل إلى ما وصل اليه كما في جاء كتابه (فتنة الحاسة السادسة) والذي تحدَّث فيه بكل ما أوتي من قوة وعزم عن هذا الموضوع وهذه المثلبة دون أي ساترٍ أو حجاب. وإذا ما استعرضنا ما جاء به هذا الكتاب بهذا الصدد، نراه يقول في صفحة 222: "عندما أرى صورتك وهي واصفة لكل هذه الجمال الذي لا يُقاوم، يُشعرني بالجوع اليكِ، كأنني لم أجرِّب النساء قط، ولم أتذوق لهن طعماً

قبل ذلك". ثم يقول في الفقرة التي تليها من نفس صفحة: "أخشى أن تُحولني الصور إلى مُراهق مُتهور لا يبحث إلا عن مُتعة النظر، أخشى أن أموت ولا أتذوق لكِ طعماً". وفي الفقرة التالية: "أراكِ في كل صورة أجمل وأشهى وألذ، أنتِ تُفقدينني مُتعة السيطرة على نفسي وعلى لُغتي، وترفعين درجة حرارتي، وأصاب بالارتباك، كأن لسعة من كهرباء ضربتني، أو أنَّ مَسّاً من الجنون تلبَّسني". ومن باب التبرير الذي يبدو مُقتنعاً به تمام الاقتناع، نقرأ له وعلى لسانه في صفحة 58: "يقولون أنَّ هناك علاجاً بالكتب، وعلاجاً بالعقاقير، وعلاجاً بالإبر الصينية، وعلاجاً بالسحر، وعلاجاً بالرقية، ونسوا أن يتحدَّثوا عن العلاج بالحُبّ وعن العلاج بالصور". وهنا نستمع إليه مُعاتباً لإحدى محبوباته في صفحة 59: "أخذت هذه الصور باسترجاع ذلك الحنين الراسخ بالنفس، ... كنتِ قاسية جداً وأنتِ تُقدّمين لي الكأس وصورته دون أن يُتاح لي أن أشرب منه ولو رشفة واحدة". ومع كل الذي أدلى به، نلمحه وهو يعود إلى تناقضه مرة أخرى ويتحدّث عن الصور، وأنها لا تُثيره ولا تُثير غرائزه لأنه يملك الرصيد الكافي الذي أصابه بالتُّخمة منها، فيقول في صفحة 163: "لكنها لم تُثرني إلى ذلك الحد الذي يمكن لامرأة شبقة أن تُثير رجلاً أربعينياً مثلي مَفخّخ بصور النساء وروائح

شـهواتهن". واسـتكمالاً يقول في صـفحة 181: "أفتّش في رسـائلكِ القديمة أقرأها واحدة واحدة، أتعثر بصـورةٍ شـهيةٍ لكِ، يا إلهي، ما أجمل تلك الصـورة. كانت بلا شـك صـورة أدخلتني في الهسـتيريا من جديد، مشاعر لستُ أعرف وصفها، تأملتُها كثيراً وكثيراً". ثم يُكمل في صـفحة 182: "كم تمنيتُ سـاعتئذ أن أكون معكِ في تلك الصـورة، وفي تلك الوضـعية، وأغرق فيك، لآكلك، وأتذوَّق طعم شـفتيك و.....، وكل خلية من جسـدكِ، كم تمنيتُكِ هذا اليوم لي! هذا جعلني أكثر اسـتفزازاً واضـطراباً وجنوناً، ذهبت إلى الحمام مرتين لأتخلص من جنون شهوة ركبتني، ولم أهدأ بعد". ويستكمل في الصـفحة 164 وبتخطيط اسـتراتيجي قد يرى النور أو لا يراه: "هذه الصورة مع صور أخرى غيرها للنساء الأخريات ممن أحتفظ بصـورهن العارية جعلتني أفكِّر في التخطيط لعمل معرض فني من هذه المادة الطريفة ."

وفي اعترافه الصـريح بهوسـه بصـور الفتيات وخصـوصـاً الفتيات العاريات، أو شـبه العاريات، أو المتبرجات يقول في صـفحة 211: "منذ زمن لم أشاهد لك صورة، إني مُتعلّق بالصور إلى حدّ الهَوَس، على كلٍ هذه مشـكلة قديمة لا حل لها على ما يبدو". وهنا نؤكد

ونقول إن هذه المشكلة لديه بالتأكيد لا حلّ لها، والدليل على ذلك كتابه (فتنة الحاسة السادسة) وما أتخم به بداية، وما جاء به هنا في كتابه الذين بين أيدينا -الثرثرات المحببة- قوله في صفحة 230: "ما زلت مُنتظراً تلك الصورة الموعودة، فلحمُكِ الشهي يُثير فِيّ جنون الحُبّ والشهوة واللذة أيتها الجميلة الطاغية في اشتهائها واحتدام جنونها". ولتأكيد ذلك يقول في صفحة 233: "هل ستسعدينني ببعض صورِكِ الشهية وأنتِ في باريس؟ يُسعدني ويُبهج خاطري مرآك وأنتِ في كامل أناقتكِ وجنون شهوتكِ التي أحبها وأتوق اليها."

وفي تشخيص مُبكر أو مُتأخر لما بات يُعاينه حج محمد، ويعتني به في الواقع حتى صار يجتاحه ويراه في مناماته وأضغاث أحلامه، نلحظ أن معضلته صارت جلية واضحة للعيان وذلك من خلال نصوصه وكتاباته هو عن نفسه. وأنّ ما بات يدَّخِرُه ويختزنُه في عقله الباطن، يرتدُ إليه لا محالة بوعيه أو دون وعيه سواء أكان واعياً بذلك أو غير واعٍ. وهذا ما شهدناه بالضبط وقرأناه في صفحة 107 حينما قال: "أخذتني سِنة من النوم.....، رأيتك بكاملك، قامتك المكتنزة، تهفهف في ملابس شفافة وردية، تتخايل

منها أعضـــاؤك، ..... مددت يدي أتحســـس وجهك، أغمر وجهي في.....، يسـيل ماؤك وترتعشـين". ويسـتكمل في مشـهد آخر: "في هذه الليلة التي قضيتها برفقتي أو قضيتها برفقتكِ- يتحدث عن رؤياه في المنام-، لم يفارق ..... يدي، يا له من كائن جميل! طير ناعم وشهي، ما زالت صـورته حاضـرة في كل وعيي الشـقي وأنا أكتب لك عن هذا المشـهد، ما زال حياً وحرارة ... وحجمه وحجم .... ما زالت قادرة على تبيانهما وبقدرة فائقة". وإمعانا في ذلك الفعل الذي صـــار مهوســـاً ومهجوســـاً به، يُخبر معشـــوقته في صـــفحة 194: "على مدار الأيام الســـابقة حلمت بكِ وحلمت بنســـاء أخريات، أصـحو من مناماتي مهجوســـاً بكِ. ضـــاجعتكِ وضـــاجعتهن في تلك المنامات". ويختتم حديثة عن الاحلام آملا أن يُجســـده على أرض الواقع، فيقول في الفقرة التالية من نفس الصـفحة: "أفكر أنني لن أعود إليك إلا إذا كان لقاء المصـــالحة بيننا على مائدة شـــهية طويلة نتناول معاً أجسادنا بكل عنفوان ."

وبرغم ما اعتري هذا الكاتب من إشـــكاليات، ومتاعب، ومصـــائب طالت حياته الخاصـة بسـبب سـلوكياته التي تكاد تكون مرفوضـة اجتمـاعيـاً في أرجـاء البيئـة والمجتمع التي ينتمي وننتمي لهـا، حتى

عرجت به على سائر يومياته وأيامه؛ منها ما كان من التأثير السلبي على وظيفته ومصدر رزقه الذي يقتات وعائلته منها، والتي كاد يخسرها؛ فتودي به إلى الهاوية. فنجده يقول معترفاً بما حلّ به نتيجة لما يقوم به بهذا الصدد بالقول في صفحة 88 في إحدى رسائله لعزيزة غالية على قلبه: ".... إلا إنني أتحدث عن..... والجلود، وما زلت لا أزور مدارس البنات منذ آذار 2013 وحتى آخر هذا العام الدراسي، لقد فقدت بسبب هذه التقوى البائسة أصدقاء كثيرين، وعاداني الأنبياء والقديسون الجُدد، وامتنعت عن محادثتي وصداقتي صحابيات جليلات.....". ويردف: "أصبحت شاعراً، فاجراً، فاسقاً، ماجناً، كافراً، ميؤوساً مني". وعطفاً على ذلك، وكأنه صار يعاني العُزلة والوحدة والنظرات المُستنكرة لما يقوم به ويُمارسه جهاراً نهاراً من خلال كتاباته المنشورة دون خوفٍ، أو وجلٍ، أو استحياء وهو مُقتنعٌ تماماً بفحوى الحديث الشريف الوارد في صحيح الإمام أحمد أن (الاثم ما حاك في صدرك وخشيتَ أن يطلع عليه الناس). وطالما أنه لم يخشَ أن يطلع على ما يقوم به الناس، فهو إذاً ليس بآثم ولا صاحب خطيئة. ومع كل هذا، ومع ما ظل يعتريه من العواصف الهوجاء التي راحت تعصف به، يقول

على هيئة الاستسلام في صفحة 92: "فليسعني بيتي، ولأبكِ على خطيئتي، بل على خطاياي التي ليس لها حد."

من ناحيةٍ أخرى، ومن الجانب المُغاير تماماً، ومن الزاوية الأكثر إشراقاً في حياة، وكتابات، وأدب فراس حج محمد، نرى الوجه الآخر والوجهة الأخرى لنهجه ومنهجه الذي قد يكون مختلفاً تماماً لما عُرف عنه في كتبه وكتاباته الكثيرة، وثرثراته التي لا تنتهي ولا تخلو من الأيروسية، والإباحية، والمجون بشكل أو بآخر؛ فالمُتبجِّر بكُتبه على وجه العموم، وبكتاب الثرثرات المُحببة على وجه الخصوص، يجده يتحدث ويُسهب عن الدين، والتَّدين، والمشيخة، والشيوخ. ويراه يقتبس كثيراً من آي الذكر الحكيم، والحديث الشريف حتى لا يكاد يكون موضع إلا ويتناول به هذه الوجهة وهذه الطريقة والتي أجزم أنها جزءٌ أصيل من تركيبته، وفلسفته، ومُعتقده الراسخ الذي لا يترنح ولا يتزحزح. وإذا انتابتنا الحيرة، وأصابنا الاستغراب في ذلك، فلا بد لنا من العودة إلى تاريخه الذي ذكره هو بكتاباته، والذي تعرَّض فيه غير مرة إلى هذا المخزون القابع في عقله وفؤاده، وراح يُقلّبه بين الفينة والأخرى،

ويُظهره على رؤوس الأشـــهاد وهو في ذلك من الراضـــين الواثقين بأنفسهم وبما يقولون.

عنـد الغوص في المُكتنز المكنوز من ذاكرة فراس طويلـة الأمـد والمُتعلقة بالجانب الروحي من حياته، نجد أنَّ جذور هذه الظاهرة تعود لعلاقة قويةٍ، متينةٍ، قديمةٍ مع حزب التحرير الذي انتمى له وهو في ريعان شـــبابه- كما ذكر في الكثير من كتاباته-، فقد رأيناه يقول في هذا المضـمار في صـفحة 66: "أتذكر عندما كنتُ مسـؤولاً في حزب التحرير، هـذا الحزب المُفترى عليـه كثيراً، كنـتُ تلقيـتُ الإسـلام تلقياً عقلانياً صـرفاً، ثم درسـته في حلقات الحزب بطريقةٍ عقلانيةٍ جداً لمدة تزيد عن عقد ونصـــف". وهنا يتضـح لنا أمره لنلحظ الســـبب البَيّن لهذه النزعة الدينية التي راحت تراوده بين الفينة والأخرى، وتطغى على ســـلوكه وكتاباته المُتعددة وفي شـــتى الميادين وأروقة العمل الأدبي الإبداعي. ورغم مكوثه وانتمائه لحزبه لأكثر من خمســـة عشـــر ســـنة على حد زعمه، وقد هجر الحزب وابتعد عنه طواعيةً وبكامل إرادته، إلا أنه يذمّ في موضـــع آخر ظاهرة الشـــيوخ غير العقلانيين، فنراه يقول في صـــفحة 65 في معرض حواره مع زملاء العمل عما يقوم به ويعمل به مشـــايخ

عصـــره: "لم يُخرب الـدين كما خربته طائفة من الشـــيوخ، فهم يســـتعبدون أفكارنا بأحاديث غير معقولة". ويســـتكمل في صـــفحة 66: "هؤلاء الدعاة، دعاة ضـــلال وتنفير، لا دعاة هداية وتبشـــير، لأنهم لا يعتمدون إلا على الخزعبلات والتخاريف والأوهام."

ورغم ما حصل وتحصَّل عليه فراس من الإرث الإسلامي، وتشـبُّعه بالروح الدينية والعقيدة النقية بســـبب انتمائه لحزب التحرير، ولســـببٍ أو لآخر، نجده قد عاف وترك حزبه وتنظيمه وراح يبحث ويُفتِّش عن البـديـل الـذي يتمـاشـــى مع أفكاره الجـديـدة وميولـه المعاصـــرة بعد حالة النضـــوج التي حلّت به ووصـــل إليها. إلا أنه لم يصـــل إلى ما كان يرنو ويتوق إليه؛ فقد اكتشـــف ســـريعاً أنَّ كل الأحزاب السـياسـية والدينية سـواسـية من أقصى يمينها إلى أقصى يســـارها، لا فضـــل لأحدها على الآخر. وقد ظهر هذا الرأي عندما قال في صـــفحة 219: "أنا أحب الشـــيوعيين واليســـاريين، واحترم مناقشـتهم العقلية وإن اختلفتُ معهم". ثم يُعَرّج ويقول في صـفحة 148: "بعد أن جربتُ الانتماء للأحزاب الإســـلامية، وها أنا هذه الأيام في تجربة جديدة- الأحزاب اليســـارية-، ومع أنني أحياناً غير مُتشجِّع لذلك، فأسـال نفسي عن هذه التَّحوّل وما الهدف منه، لا

أراني شـغوفاً بالتجربة، ففكرة الانتماء للأحزاب السـياسـية خطرٌ كبيرٌ على الكاتب ."

وتأكيداً لتخوُّفه من الانتماء للأحزاب اليسـارية وعدم تقبُّله لها يقول في صـفحة 172:"كنتُ في رام الله للمشـاركة في المؤتمر الرابع لفدا.... لم أسـتسـغ النوم في المكان ولا المشـاركة في أعمال اليوم الثاني، كانت نقاشـات اليوم الأول نقاشـات عقيمة وسيئة. لا شيء مهم فيها، شـدٌّ وجذب، وصـراعات، وكولسـات، ومنافسـات على عضـوية اللجنة التنفيذية ومنصـب الأمين العام..... لا ناقة لي ولا بعير في كل ذلك". ويختم حديثه بصـفحة 173: "هي هي العقلية الحزبية المقيتة التي لن تتغير أبداً ."

وعن التناقض الذي اعتراه أثناء أرجحته بين الأحزاب الدينية والأحزاب اليسـارية فيقول في صـفحة 114 مخاطبا حبيبته اليسـارية: "كأنكِ تقولين ما علاقتك بالأمر؟ هل أصـبحتَ يسـاريا مثلي؟". فيرُدُّ عليها هو: "هل أنتِ يسـارية؟ يا لها من فكرة عظيمة، يساري من أصول دينية يُحب شاعرة يسارية مُتوغلة في اليسار". وفي خلاصـة الموضـوع، وما توصَّـل إليه في هذا الجانب، يُجمل ويقول في صـفحة 148: "لقد رحمني الله عندما خرجتُ من حزب

التحرير، ولكني لم أرحم نفسي عندما دخلتُ في حزبٍ آخر، فأنا لا أتقن العمل الحزبي، ولا أجد جدوى منه، فما هو إلا عبث على عبث، ويرمي بنا في أغوار المجاهيل، ولن تفيد أحداً؛ لا وطناً، ولا مواطناً."

من جانبٍ آخر، وبعيد عن الأحزاب والانتماء لها سواء أكانت أحزاب دينية أو أحزاب اشتراكيه يسارية، نجد أنه ما زال مُحتفظاً ومُحافظاً على بذوره المُكتنزة في وجدانه والمُتمثلة ببُغضه وابتعاده عن الإلحاد، وحُبه للقرآن الكريم، والسنة النبوية، والرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مهما اعتراه من شطحاتٍ حزبيةٍ أحياناً، أو خروجه عن السِّكّة والطريق القويم، واعتلائه منابر الأيروسية، والسير على نهجها بالكثير من كتاباته الأدبية، فنراه يقول في صفحة 125: "إنَّ فكرة الإلحاد بحدّ ذاتها فكرة ساذجة جداً، لذلك لم تكن لتؤثر في أفكاري كثيراً أو قليلاً، فما يُضير الخالق أن ينفي وجوده فيلسوف، أو شاعر، أو عبقري. هي أزمة فِكر بلا شك". ثم يقول في صفحة 219: "لا تظني أنني أحمل أفكار إرهابية مُنغلقة، لكنني أحبّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم حُباً جماً والله، وأكره كل من يرميه بسوء، أو أن يتحدَّث عنه بحديثٍ

غير منطقي وغير موزون، وأمقت كل من شتمه وسبَّهُ". واستكمالاً، وفي معرض حُبِّه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، نرى أفعاله وأقواله تُعبِّر عما جاء به هواه، وما راح فِكرُهُ يقوده إليه ويتمناه؛ فقد لاحظنا هذا السلوك الفطري لديه يتجلى في رسالة لعزيزة غالية عليه في 2018/11/20 في صفحة 141 وهو يُهنِئها بذكرى عيد المولد النبوي، وفي رسالةٍ أخرى بتاريخ 2021/4/17 في صفحة 193 يُهنئ إحدى محبوباته أيضاً بشهر رمضان المبارك ويقول لها: "أسعدتِ صباحاً وحُباً، وكل عام وأنتِ بخير. شهر صيام مبارك". ويعود ويُهنئ أخرى بذكرى المولد النبوي الشريف بصفحة 229 في رسالة بتاريخ 2021/10/21 ويقول لها: "كل عام وأنتِ بخير، لقد احتفلنا بذكرى المولد النبوي الشريف، فمنحتنا السُلطة يوم إجازة."

أما عن حالة الضعف التي كانت تعتريه بين الفينة والأخرى كونه آدمياً قد يتعرض للمرض، أو الهمّ، أو الغمّ، أو الكَمَد؛ فيعود بفطرته السليمة إلى خالقه ويُناجيه ويطلب منه النجاة. فنستمع إليه قائلاً في الصفحات 176 و177: "واجهتُ حقيقة أنني شرّ الناس فعلاً في فترة مرضي الأخيرة، يوم من المرض الشديد منعني

الأكل، والشُـــرب، والقراءة، والكتابة، والتواصـــل مع الأصـــدقاء، والتفاعل مع منشـوراتهم. ما أزعجني حقيقة ليس المرض بحدّ ذاته، فهي ليسـت المرة الأولى التي أمرض فيها مرضـاً مُؤلماً كهذا..... ما آلمني شـــعور أنَّ الله قـد تَخلّى عني، ولم يعـد يســـمع دعـائي، ولا يلطف بحـالتي، ولا ينظر إليّ بعين الرحمـة والرأفـة، أنـا العبـدُ الفقير جـداً إلى الله، هـذا العبـد الـذي لمس حُـبّ الله في أكثر من موقف في كل فترات حياته، منذ الطفولة وحتى الآن، كثيرة هي الأزمات مرَّت بي؛ صـحية، واجتماعية، واقتصـادية. ولكنني لم أكن لأضـعف، لأنني كنتُ دائماً أحسُّ أنَّ الله معي ويرعاني". ويستكمل في الفقرة التالية: "بكيـتُ بكاءً حـارقـاً مُرّاً ليس من المرض، ولكن لأني فقـدتُ القـدرة على المقاومة، ولماذا فقدتُ القدرة على المقاومة؟ لشـــعوري الحاد أنَّ الله قـد تخلّى عني، ينظر إليَّ مُتألماً ولا يســـتجيب لدعواي. هنا بكيـتُ، وجـأرتُ، واســـتجرتُ، وخفـتُ خوفـاً مُضـــاعفـاً، لا شـــيء سـينفعك لو تخلّى الله عنك، وكل شـيء حتى شـربة الماء سـيصـبح دواءً ناجعاً لو كان الله معك ."

أما عن الموت والشعور بالضعف والخوف أمام الله، وقبوله وتقبله لفكرة الموت فيقول في صـفحة 2018:"لن أكون شـيخاً ولا واعظاً،

فالموت لا بد منه، طال العمر أم قصـر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عاش اليوم سـيموت غداً أو بعد غد". ويقول في الفقرة التي تليها: "لا أحبُّ أن أكتب عن الموت، بل إنني أنسـاه وأتناسـاه على الرغم من أنني أراه يومياً من حولي، ..... لم أعد أحفل بالموت لا من قريبٍ ولا من بعيد، فليأتِ في أي وقتٍ، وليأخذ من شاء، فمن كانت آخرته التراب، فله التراب وحسـب، ..... كل حي منا يؤدي دوراً مرسـوم له، وعندما ينتهي دوره، ينزل عن خشـبة المسـرح، ويأتي غيره من الممثلين، فلا بقاء إلا للخشـبة، أما الممثلون فكلهم راحلون ."

كل الذي ظهر آنفاً عن النزعة الدينية المتأصـلة في فِكر فراس، وجوهره، ومظهره، والذي رضعه مع حليب أمّه كونه وُلد وترعرع في بيئةٍ إسلاميةٍ مُحافظة، ثم ما نهله وارتوى به من مَعين وكأس حزب التحرير الذي انتمى إليه مع خطواته الأولى في حياته قبل أن يتم فطامه بإرادته، ويتنحى عنه بمشيئته هو السبب في تلك الصبغة التي اصطبغها في هذا السياق والتي عملت على صقله بهذه الكيفية لنراه يُمعن في الحديث، والسـلوك، والتَّصـرف، والكتابة بالطابع والقالب الإسـلامي المحض لتراه مُفاخراً بقُربه من القرآن العظيم

والسُّـــنة المحمدية تعلقاً، واقتباســاً وســيراً عن نهجه القويم. ما انعكس على آرائه، وكتاباته، وأدبه دون إخفاءٍ أو اســتحياء. وقد بدا هذا وهو يخاطب محبوبته في صـفحة 69 قائلاً لها: "هل سـبق وأن قرأتِ القرآن كاملاً؟ لا أعتقد ذلك، فأنتِ لســتِ من أهله ولا من خاصـته، .... لا أثر يدل على أنكِ قرأتِ القرآن". ويقول في نفس الفقرة: "أنا كنتُ قبلكِ شــغوفاً بالقرآن وبقراءته وتأمله، هذا أمرٌ تم القضــاء عليه قضــاءً مبرماً بسـبب أنكِ سـلبتِ مني حريتي". ثم نجده يعود للحديث عن القرآن وتمجيده في نفس الرســالة ونفس الصــفحة ويقول: "القرآن أكد فعل الحرية للبشــر، ومنح النفس أقصــى مشــتهاها، ولم يحل بينها وبين شــهوتها وممارســة أفعالها بحرية إلى درجة الاســتعباد التام!". ويســتكمل في الفقرة التي تليها: "القرآن الكريم حرّر العقول والنفوس والأرواح وربطهـا بـالمنطق الكوني". وفي الفقرة التالية: "لاحظي المســاواة اللغوية -والحديث عن القرآن-، المســاواة في الجُمل، المســاواة في التركيب، وفي عدد الكلمات". ويختم حديثة بالقول مدحاً وتمجيداً في هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: "اللغة في القرآن ذات هندسة عجيبة."

أما عن الاقتباس من هذا الكتاب العظيم فحدِّث ولا حرج، واستزد بالحديث كما استزاد فراس نفسه ولم يبخل بذلك في شيء حتى راح يفتح هذا الباب على مصراعيه دون حدودٍ أو قيود؛ وقد ظهرت اقتباساته من هذا المصدر الرباني كثيراً في هذا الكتاب خصوصاً وفي جميع كتبه عموماً. وهنا نذكر من هذه الشذرات ما قاله وما اقتبسه بالقول ما جاء في صفحة 50: "إنك لن تستطيع معي صبراً". وفي صفحة 57: "صار الكون أضيق من سم الخياط". وأيضاً في صفحة 60: "صحيح أن الأعمال الأدبية ليست

إعجازية، وأنه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها". وفي صفحة 88: "إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون". وأيضاً في صفحة 95: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكما من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما". وفي صفحة 99: "ليتني كنت نسياً منسياً"، وفي صفحة 163: "وقد أفضى بعضكم إلى بعض"، وفي ص 198: "والليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون". وكذلك في صفحة 199: "وإن من شيء إلا يُسبِّح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم"، وأخيراً وليس آخراً في صفحة 222: "لا أرى إلا الشياطين تؤزني أزاً."

من هنا، نرى أنّ البعد الديني كان دائماً حاضـراً في كتاباته، إلا أننا نشـهد خلطه طقوس الحُبّ مع الطقوس الدينية، فتمتزج بطريقه غريبه قد لا نجدها حصـراً إلا عند فراس حج محمد دون غيره من الأدباء والكتاب في عصـرنا! وقد تلمّسـنا ذلك بصـفحة 37 عندما قال: "إنها تقترب من الرابعة صباحاً، واستعجلتُ تناول سحوري في الغرفة، ثمة أفكار تُلحّ عَليّ، أردتُ أن أكتبها لكِ وقد تهيأتُ لذلك، فقد اغتسـلتُ اسـتعداداً لهذا اللقاء.... قررتُ أن أكتب اليكِ بعد أن أغتسـل، ثمة طقس احتفالي أحبُ الدخول إليه وأنا أخط لك رسائلي". ويستكمل في نفس الصفحة: "ثمة مصباح يُطل من نافذة الغرفة، يُذكرني بوجهك البهي، وثمة سـكون يُخيم على الكون ما خلا صـوت القرآن الذي يملأ اللحظة رهبة وجمالاً، ويغمر النفس قداسـةً وحباً وطهارة ". وبذات السـياق يقول في صـفحة 234: "فبركاتي– كوني شـيخاً سـابقاً- سـتحلُّ عليكِ أيضـاً، وليس كتلك البركات التي يُريدها بعضـهم، وتحمل معنى أيروسـيا كما قلت". ويقول في نفس الصفحة: "فثمة شـوق في الحنايا لا بد من أن يُطفأ في مرجل الحُبّ والوصـال واحتدام الشـهوة واضـطرامها في لحظة صـوفية". وحتى وهو يتحدث عن الأيروسـية نراه يُقحم الاقتباس من القرآن في هذا الشـأن، وقد بدا ذلك في نهاية صـفحة 59 حينما

قال: "لم تكن الصورة مُجرد صورة، بل كانت دافعاً للغة أن تأخذ زينتها عند كل جملة تُكتب، وعند كل بيت شعر يُخلق، وعند كل سرد من حكاية تُروى في الأساطير والكتب الخالدة."

هنا، وفي الختام لهذا المقال بهذا المقام، ومن خلال استعراض لجزءٍ يسير مما جاء به فراس بين رحى هذه الصفحات في هذا الكتاب، والذي آمل أن أكون قد وُفقتُ بتشريحه بصورةٍ أدبيةٍ محضة بعيدة عن القدح، والذَّم، والاتهام، والتوبيخ من جهة، وبعيداً عن المدح، والرياء، والإطراء، والنفاق والمُخادعة من جهة أخرى. وإنني أجد نفسي هنا أقف على مفترق طريقٍ عَبَّدَه صديقي فراس حج محمد على طريقته الخاصة ثم جعلني أقف حائراً، مُحتاراً، مُرتبكاً، مُوجهاً سؤالاً عريضاً برسم الإجابة لي وله ولجمهور قراءه الكثر أن: كيف يستقيم التَّدين، والتقوى، والصلاح بمظاهره وأركانه المختلفة من صلاةٍ، وصيامٍ، وسحورٍ، وقراءة قرآن، واقتباسٍ منه ومن السيرة النبوية العطرة مع الفُحش، والفجور، والرذيلة، والأيروسية في الكتابات الأدبية؟ وكيف ومتى يستقيم الظل والعود أعوج كما قال الشاعر عبد الرحيم اليماني، ومن يصلح الملح إذا الملح فسد كما قال الشاعر أبو سفيان الثوري.

الكتاب في الصحف وفي ذاكرة الذكاء الاصطناعي

150 «ثرثرة محببة».. إصدار جديد في أدب الرسائل

القاهرة – بوابة الوسط: فتحي محمود، الأحد 21 يناير 2024

صدر حديثا كتاب «الثرثرات المحببة» للكاتب والناقد الفلسطيني فراس عمر حج محمد، عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس.

فن الرسائل أحد الفنون الأدبية التي اشتهر بها العرب، حتى إنهم أنشأوا مدرسة أدبية تحت اسم «أدب الرسائل»، وذلك لأن كتابة الرّسائلِ من أرق صنوفِ الأدب وأجملها لما في تفاصيلها كثيرٌ من الحنين، والبوح، منها مراسلات الأدباء والحكام ولعل أشهرها في العصر الحديث، تلك الرسائل المتبادلة بين الشاعرين الكبيرين محمود درويش وسميح القاسم، وأما تلك الرسائل الرومانسية فكثيرة ومنها رسائل مي زيادة وجبران ورسائل كافكا إلى ميلينا، وغيرها.

أما الجديد الذي جاء في رسائل فراس فهو وحدة الراسل مع تعدد المرسل إليهن، يقول ابن قرية تلفيت إحدى قرى محافظة نابلس في تصريح خاص إلى «بوابة الوسط»، «إن الكتاب يجمع بين دفتيه

أكثر من 150 رسالة، موجهة لستّ كاتبات، واشتمل الكتاب على بعض الردود من هؤلاء الكاتبات».

وأضاف أنه أطلق عليها اسم «الثرثرات المحببة» لأن كاتب الرسائل يريد أن يكون حرًا خلال الحديث مع من يكتب لهنّ، كما أن «الثرثرات» وردت في رسالة لإحدى الكاتبات المرسل إليهن.

وكشف عن مواضيع أخرى تضمنها الكتاب، متعددة ومختلفة، جاءت في سياق الرسائل، حسب الظروف أو الأحوال، خضوعا للحالة النفسية التي يمرّ بها الكاتب خلال كتابته للرسالة.

وعن الرؤية الإنسانية للكتاب قال إنه يمثل امتدادًا لمشروع الرسائل الذي بدأه الكاتب عام 2013 في كتابه رسائل إلى شهرزاد، ثم كتابه عام 2021 «الإصحاح الأول لحرف الفاء- أسعدت صباحا يا سيدتي».

وأكد «أن المراسلات بين المحبين تمثل علامة فارقة، حتى في ظل طغيان التكنولوجيا إلا إن لها حاجة ماسة للفضفضة العاطفية ضمن مسافة معقولة من البوح الأدبي، فثمة أمور لازمة في القول

على هيئة ما لا تقال مشافهة، يحسن لها أن تقال عبر الرسالة، إذ تُعتبر الرسالة طريقة آمنة عن هذا التعبير».

وأضاف «بالمجمل، فالرسالة حاجة ضرورية في مشروع أي كاتب لا سيما وقد دخل في علاقات عاطفية طويلة ومتنوعة».

رسائل الكاتب فراس حج محمد في كتاب جديد

صــدر مؤخّراً عن دار الفاروق للثقافة والنشــر في مدينة نابلس، كتاب "الثرثرات المحببة". يضــم مجموعة من الرســائل التي كتبها حج محمد إلى مجموعة من الشــاعرات والكاتبات. يقع الكتاب في (292) صفحة، صمم الغلاف الفنانة ميسم فراس، وتصدّره لوحة "القارئة الحسناء" للفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد".

ناقشــت هذه الرســائل موضــوعات متعددة، اجتماعية وأدبية وفلســفية وتربوية وتعليمية، عدا موضــوع العلاقة الحميمة بين الطرفين الذي ســيطر على كثير من الرســائل، بغض النظر عن موضوعها والقضايا التي يناقشها. واستحوذ الموضوع السياسي على كثير من الرســائل، إذ يظهر في هذه الرســائل موقف الكاتب المعارض للسلطة الفلسطينية وسياستها، ومؤسساتها الثقافية، وأمراض تلك المؤسسات التي كانت كارثية في جميع مفاصل المجتمع الفلسطيني.

لم يصرّح الكاتب بأسماء هؤلاء الكاتبات سوى بتوقيع أسمائهن بحرفين من أسمائهنّ، وبلغ عددهن (7) نساء وهن: "أميرة الوجد (ش. ح)، ل. م، صوفي، ف. ع، إ. س، ر. غ، ص. ز".

بدأ الكتاب بإهدائه "إلى كل امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحب والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهي، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله". وقدّم الكاتب لهذه الرسائل، بثلاث مقدمات، أجاب في الأولى عن سؤال "لماذا توقفت عن كتابة الرسائل؟"، فكانت الإجابة الأولى بسبب التكنولوجيا التي قضت على الظروف الطبيعية لكتابة رسالة حب، وفي موقع آخر يقول إنه توقف عن كتابة هذه الرسائل مرغماً- وإن بقي شيء منها في نفسه- بسبب أن "المرسل إليه لم يكن يحفل بتلك الرسائل".

وفي المقدمة الثانية (في معنى النبل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً) يناقش مسألة تثار مع كل كتاب للرسائل؛ وهي مدى أخلاقية نشر رسائل الطرف الآخر الذي يشارك الكاتب الكتابة والرد على الرسائل، ليحسم الجدل لصالح النشر، بقوله: "أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر". ويختم مقدماته بمجموعة من الاقتباسات لأدباء وأديبات، تبين وجهة نظرهم من فن الرسائل

وأهمية هذا الفن بين المرسل والمرسل إليه، إذا كانا حبيبين أو على علاقة ما.

بدأت الرسائل بمجموعة رسائل موجهة إلى "أميرة الوجد" (ش. ح)، وكان تاريخ أول رسالة 2012/6/5، وآخرها 2021/4/27، وتضمّ هذه المجموعة (8) رسائل، بما فيها ردود أميرة الوجد على تلك الرسائل.

واشتملت رسائل 2016 و2018 على أكثر من (100) رسالة والرد عليها، في حين اشتملت مجموعة رسائل (2019) على (18) رسالة وردّ. أما رسائل 2020 فكانت (6) رسائل فقط، ورسائل 2021 (42)، و(5) رسائل في باب رسائل 2022. وأما الرسائل المتبادلة بين الكاتب وصوفي فيفرد لها مجموعة خاصة، واشتملت على (4) رسائل و(نص) وجداني ذي طابع أيروسي، كتبته صوفي تخاطب فيه الكاتب.

يختم الكاتب الرسائل بقصيدة "عشرون قنديلا لحبيبتي الغائبة"، وما جاءه من رد؛ رسالة تبين فيها كاتبتها إعجابها بالقصيدة وتعبر فيها للكاتب عن حبها له بقولها: "أنار وجه قصيدتك بكل حب وبكل اشتهاء".

وأخيرا ينهي الكاتب كتاب "الثرثرات المحببة" بمجموعة من تعليقات الكتاب والكاتبات والقراء حول الرسائل وموضوعاتها عندما نشرت في المواقع الإلكترونية والصحف أو على صفحات الفيسبوك. ويثبت بعد هذه التعليقات مقال: "لقد آلمني أن حبيبتي تسرقني القصيدة"، وفيه يسجل موقفا بينه وبين واحدة من هؤلاء النساء اللواتي راسلنه، وقد كتبت قصيدة تحاكي قصيدة أرسلها لها.

الكتاب كما تراه خوارزميات الذكاء الاصطناعي

ملخّص عام:

يستعرض كتاب "الرسائل: الثرثرات المحببة" للكاتب الفلسطيني فراس حج محمد، والصادر عن دار الفاروق عام 2024، مجموعة من المراسلات الوجدانية والأدبية. تبرز الرسائل البعد الفلسفي لهذا الفن، معتبراً إياها وسيلة أعمق من الرواية لاستكشاف أغوار النفس البشرية وتوثيق لحظات العشق والخذلان.

تتنوع لغة الخطاب بين البوح العاطفي الجريء والمكاشفات النفسية التي تعكس صراع الكاتب مع مفهوم الهوية والعلاقة بالآخر في زمن التكنولوجيا. كما تتضمن الرسائل قراءات تحليلية ومساجلات فكرية حول جدوى الكتابة وقدرتها على تخليد المشاعر رغم قسوة الواقع. وتنقل هذه الرسائل صورة حية عن تقلبات الروح، متمسكة بلغة أدبية رفيعة ترفض أن تتحول العاطفة إلى مجرد ذكريات عابرة.

التحليل الأدبي:

يأتي كتاب "الرسائل: الثرثرات المحببة" للكاتب فراس حج محمد في سياق استراتيجي حرج، يشكل استجابة أدبية واعية للاحتضار الوشيك لفن المراسلات في خضم الهيمنة الرقمية. إن هذا العمل لا يتوقف عند حدود جمع نصوص نثرية، إنما يسعى لإعادة الاعتبار للورق بصفته المستودع الوحيد القادر على تخليد النبض الإنساني أمام "سهولة المحو" التي توفرها التكنولوجيا الحديثة. ينطلق حج محمد من رؤية فلسفية عميقة تجسدت في "تصدير" الكتاب و"مقدمة" الرسائل، حيث يستحضر إرثًا كبيرًا من أدب المراسلات، مستلهمًا مقولة أحلام مستغانمي حول خطورة الرسائل الإلكترونية التي لا تترك أثرًا؛ فهي لا تبلل ورقة ولا تعيش إلا دقيقة سكتة زر، مما يجعلها فعلاً يفتقر لخلود المادة.

إن المؤلف هنا يحول "الثرثرة" من فعل يومي عشوائي إلى مرتبة فنية عليا، جاعلًا منها أداة حفر في أغوار النفس البشرية، تتجاوز التوصيف اليومي لتصبح كيانًا نصيًا قائمًا بذاته. تتضح هذه الرؤية الفلسفية في استعادة الكاتب لمفهوم غسان كنفاني حول الكتابة تحت المطر؛ فالمتعة تكمن في الفعل الورقي الذي يشهد على الحالة الشعورية في لحظتها، حتى لو أدى ذلك إلى "المرض" أو

الاحتراق لاحقًا. الكتابة عند فراس حج محمد ليست رفاهية، إنما هي ضرورة وجودية، حيث يرى أن "الكون لا يمكن أن يكون دون رسالة هو حب". ومن هنا، يرتفع الكتاب بالثرثرة لتصبح "محببة"، إنها ليست ضجيجًا فارغًا، إنما هي لغة الحب الصادقة التي تتجاوز محض نقل المعلومات لتصبح صلاة في محراب الجمال. هذه الفلسفة الرافضة للزيف الرقمي والمتمسكة بخلود الكلمة المكتوبة، هي التي تمهد الطريق لفهم اختيار المؤلف للرسالة كمنهج تعبيري أصيل، يتجاوز القوالب السردية الجاهزة، معلنًا بذلك بداية رحلة البوح الصادق، حيث تمثل الرسالة رفضًا قاطعًا للرواية بوصفها مؤسسة تنظيمية تخنق عفوية الوجع.

يمثل الموقف الفكري لفراس حج محمد من "داء الرواية" علامة فارقة في تشكيل هوية هذا الكتاب. لقد أعلن المؤلف بصراحة نقدية حادة في مقدمة كتابه أنه لن يكتب الرواية، معتبرًا إياها فخًا مؤسساتيًا يسحب الكتاب قسرًا نحو قوالب تنظيمية تخنق الصدق الفني. يفكك حج محمد في ثنايا نصوصه هذا "الداء" الذي يراه وباءً ثقافيًا أصاب المشهد الأدبي، حيث يسعى الجميع لكتابة الرواية طمعًا في الجوائز أو الشهرة الإعلامية التي تصنعها

المؤسسات الثقافية، بينما يظل هو متمسكًا بـ"فوضوية الرسالة" مقابل "تنظيم الرواية" الصارم الذي يشبهه بالسجن الفني.

إن الرسالة في نظره هي تجسيد للذات الحقيقية في أقصى درجات عوالمها الداخلية، بينما يرى الرواية في كثير من الأحيان محض "تخيّل" يصنع "رجالًا من ورق" يفتقرون للنبض الحي. إن نقد المؤلف للمؤسسات الثقافية والجوائز الممنوحة للرواية يمثل أهمية استراتيجية في فهم انحيازه للرسالة؛ فهو يرى أن الرواية، لولا هذه المحفزات المادية، لن تعمر كثيرًا، لأنها أصبحت وسيلة للاستعراض لا للبوح. يرفض حج محمد أن يكون "رجلًا من ورق" يعيش في عالم متخيل، ويصر على أن يكون "رجلًا من دم وأعصاب" يتنفس عبر الرسائل. بالنسبة له، الصدق الفني يتجسد في الرسالة لأنها لا تحتمل الزيف؛ فهي خطاب مباشر من الأنا إلى الآخر، خالية من تقنيات "القرود" الذين يصفهم بأنهم "يتسلقون غصن الشعر تارة، ويخمشون جذع الرواية تارة أخرى". هذا الموقف الراديكالي يعيد الاعتبار للنوع الأدبي بصفته اختيارًا أخلاقيًا قبل أن يكون فنيًا، وهو ما ينقلنا مباشرة من إشكالية

النوع إلى الأداة التي تحرك هذا النوع، وهي اللغة العضوية النابضة التي تتشكل من أعصاب الكاتب ونزيفه الوجداني.

تتحول اللغة في رسائل فراس حج محمد من وسيلة نقل للمعلومات إلى كيان عضوي نابض، حيث تتجاوز الوظيفة الإخبارية لتصبح تجسيدًا حسيًا للحالة الشعورية. إنها لغة لا تكتفي بالوصف، إنما تسعى "لصناعة الجمال" عبر ما سماه المؤلف "بلاغة الصنعة الشعرية". في هذه الرسائل، نجد اللغة تتنفس، تعرق، وتحترق؛ فهي لغة "أعصاب مطبوخة" كما وصفها في رسائله إلى "ش. ح" بتاريخ 2012/6/5، حيث يقول: "أتعامد مع أحزاني لأقرأ في عينيك رجوع اللحظات المقتنصة للزمن الهارب منا". الكاتب يستخدم معجمًا حسيًا كثيفًا يعتمد على الندى والمطر والعطر ورائحة الشهوة، مما يجعل النص تجربة ملموسة تتجاوز محض القراءة الذهنية.

يتجلى هذا التحول اللغوي في استخدام استعارات جريئة وفارقة، مثل استعارة "خوذة المحارب" و"وردة القطن" في وصف الالتحام الجسدي والروحي. هذه الاستعارات لا تهدف للإثارة، إنما تسعى لتصوير حالة "التوحد والحلول" بين المحبين، حيث يمثل

الالتحام الجسدي فعلاً روحيًا يقدس الجسد بصفته روحًا متجسدة. كما يبرز معجم "الاحتراق" و"النزيف" و"العطش" كأدوات لغوية مركزية للتعبير عن لوعة الشوق؛ فالكاتب "ينزف ماءً مقدسًا" في لحظات الكتابة، والرسائل تتحول إلى "مقصلة" أو "لهب" يلتهم المسافات. إن اللغة هنا تشكل كيانًا مستقلًا، إنها "لغة الصنعة" التي ترفض العفوية الساذجة وتتمسك بالجمالية العالية، واصلةً بين حرارة العاطفة وبين الأبعاد الروحية والوجودية التي تسعى هذه اللغة لاحتوائها في كلمات باقية تتحدى الزمن.

ينطلق البعد الوجداني في الكتاب من كون العاطفة ليست محض انفعال عابر، إنما هي موقف وجودي كلي تجاه الحياة والآخر. في رسائل المؤلف إلى "أميرة الوجد" (ش. ح) و"ل. م"، يتجلى مفهوم "التوحد" و"الحلول" في أبهى صوره السيميائية. إن عبارة "أنا أنتِ" المتكررة في الرسائل ليست محض تعبير رومانسي، إنها تعبير عن حالة صوفية من الفناء في الآخر، حيث تذوب الحدود بين الأنا والمرسل إليه.

في هذا السياق، تظهر رؤية المؤلف لـــ"الأيروس" (Eros) ليس كفعل فيزيائي بحت، إنما كفعل بناء والتحام يقدس الجسد بصفته روحًا متجسدة. إن الصلاة في "محراب الجمال" وتطهير الروح بالألم يمثلان جوهر العلاقة بين الرجل والمرأة في نصوص حج محمد. إنه يستنطق "الأسطورة" و"التصوف" لتفسير هذا الارتباط؛ فالمحبة عنده هي عودة إلى "الصورة الأولى" التي خلقها الله في الأساطير القديمة، حيث كان الرجل والمرأة كيانًا واحدًا قبل الانفصال. لذا، تصبح الرسالة هي الأداة السحرية التي تحاول استعادة تلك الوحدة المفقودة. إن هذا البعد الروحي يمنح الرسائل عمقًا فلسفيًا، محولًا العاطفة الفردية إلى تجربة إنسانية كونية، وهذا المحتوى الوجداني هو الذي استدعى قالبًا سرديًا خاصًا يحتوي هذه الانفجارات الشعورية في رسالة 2015/1/24 التي يصارع فيها "الغول" الداخلي لعلّه يظفر بالسلام الروحي.

تمثل "الثرثرة" في هذا الكتاب استراتيجية نصية واعية تكسر جمود السرد التقليدي وتمنح الرسائل سيولة تعبيرية فريدة. إن تنظيم الرسائل زمنيًا وموضوعيًا يهدف إلى خلق "سردية الذات" التي تنمو وتتطور عبر التكرار والتدوير. المؤلف يستخدم تكرار

التواريخ والمواقف، مثل نقص فيتامين د أو رتابة الانتظار، كعلامات سردية تدل على استمرارية الألم وتحوله إلى إيقاع حياة. هذه البنية السردية تعتمد على تحولات المرسل إليه؛ من "شهرزاد" كرمز تاريخي أسطوري، إلى شخصيات واقعية بأسماء أو رموز محددة مثل "أميرة الوجد" و"ل. م" و"ف. ع".

يبرز "التناص" كعنصر بنيوي هام، حيث تتداخل نصوص المؤلف مع رسائل كافكا إلى ميلينا، مما يغذي البنية السردية ببعد عالمي ويؤكد على وحدة التجربة الإنسانية في العشق والوجع. كما تلعب الهوامش والتعقيبات، مثل ردود "ف. ع" أو "ل. م" في 2018/5/10، دورًا حيويًا في خلق حوارية سردية (Polyphony) داخل الكتاب، حيث تخرج الرسالة من عزلة الطرف الواحد لتصبح فضاءً تفاعليًا. إن هذه الحوارية تمنح الكتاب طابعًا دراميًا، وتجعل القارئ شريكًا في عملية البناء النصي. إن التقييم الكلي لهذا البناء يكشف عن قدرة المؤلف على تحويل العفوي (الثرثرة) إلى نظام فني محكم يترك أثرًا عميقًا في نفس القارئ، ممهدًا الطريق لاستكشاف طبقات المعنى العميقة التي تتخفى وراء ستار الكلمات البسيطة والموجعة في آن واحد.

يتحول "الانتظار" في رسائل فراس حج محمد من فعل زمني مرتبط بالوقت إلى تيمة مركزية تحكم إيقاع الوجود بأكمله. إن "مقصلة الانتظار" هي الصورة التي تلخص الحالة الشعورية الدائمة للسارد؛ انتظار الرد، انتظار اللقاء، وانتظار الخلاص من الألم. تتقاطع هذه التيمة مع مستويات متعددة من الخيبة؛ خيبة من غياب الرد، خيبة من الواقع الثقافي المأزوم، وخيبة من القدر الذي يضع المحبين في مسارات لا تلتقي. يتجلى الوجع في النصوص عبر صورة "الطفل الجائع للحنان" الذي يمثل الأنا الكاتبة في أقصى حالات عرائها واحتياجها، كما ورد في رسالة 2018/5/21 حيث يقول: "أنا أتعرى بين يديك كطفل جائع للحنان، عطش لدفقة من ثدي".

هذا الوجع هو المحرك الأساسي للكتابة، فالمؤلف يعلن صراحة في رسالته بتاريخ 2018/5/23:"أكتب لأشفى". الكتابة هنا فعل تطهيري (Catharsis) يسعى من خلاله الكاتب لتحويل معاناته الخاصة إلى وثيقة نفسية تعبر عن جيل كامل يبحث عن الصدق في ركام الزيف الرقمي. إن هذه الطبقات المعنوية تجعل من الكتاب يتجاوز محض كونه مجموعة مراسلات شخصية، ليصبح دراسة

في سيكولوجيا الإنسان المعاصر الذي يصارع خيباته عبر اللغة. الوجع هنا ليس غاية، إنما هو وسيلة لاكتشاف الذات وإعادة بنائها فوق أنقاض الانكسارات المتكررة، حيث يمثل النص جسرًا يربط بين الذات المكلومة والآخر الغائب/ الحاضر في ثنايا الكلمات.

في الختام، يظهر كتاب "الرسائل: الثرثرات المحببة" كشهادة فنية كبرى على قدرة الأدب على استعادة الروح الإنسانية في زمن المادة والآلة. لقد نجح فراس حج محمد في إعادة الاعتبار للذات الكاتبة في أقصى حالات عرائها الفني، محولًا خصوصية "الرسالة" إلى عمومية "الأدب". إن النتائج الجوهرية لهذه القراءة التحليلية تؤكد أن المؤلف لم يكن يمارس ثرثرة عابرة، إنما كان يبني حصنًا لغويًا يحمي فيه قيم الصدق والجمال، متحديًا "داء الرواية" وسقوط القيم الجمالية في وحل التجارة الثقافية.

إن الجوهر الإنساني لهذا العمل يتجسد في قدرته على تحويل الوجع الفردي إلى تجربة جمالية يجد فيها كل قارئ صدى لنفسه. الكتاب يمثل وثيقة نفسية وفنية لجيل يعاني من ضجيج التكنولوجيا، باحثًا عن لمسة حقيقية فوق ورق باقٍ. إن أبدية الرسالة في عالم مؤقت هي الحقيقة التي يكرسها فراس حج

محمد، مؤكدًا أن الكلمات الصادقة التي كُتبت بالأعصاب والدموع لن تمحوها سكتة زر، بل ستظل نابضة ما دام هناك إنسان يقرأ، ويتألم، ويحب. إن الرسالة، بهذا المعنى، تتجاوز محض النص لتصبح وجودًا يتحدى العدم الرقمي ويؤسس لخلود إنساني لا تمحوه التقنيات ولا يقتله الجفاء.

رسائل لم تسقط سهواً*

* وردت هذه الرسائل في كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحرب على فلسطين"، وارتأينا أن نعيد نشرها في هذا الكتاب؛ استدراكاً، ولكي تكتمل الصورة، ولما لها من علاقة مباشرة بأدب الرسائل خلال الحرب وما يجري فيها أو بعدها، وقد كتبت هذه الرسائل ضمن الفترة التي كتبت فيه رسائل "الثرثرات المحببة" وبالكيفية نفسها، بل إنها جزء متسلسل منها في ترقيمها.

لماذا أكتبُ لك عن الجزائر؟

الجمعة: 20-7-2018

أيتها العربية المجيدة، والثائرة المهيبة، تحية راسخة من قلوب متجذرة في المحبة، أما بعد:

لماذا الآن أكتب لك عن الجزائر؟ وكيف انتبه الوعي إلى ضرورة الكتابة عن هذا البلد العربي العريق غير الملتبس في هويته العربية والإسلامية على الرغم من الأصول الأمازيغية، وما يقال تجاهها. وعلى الرغم من الفرنسة التي تطغى عليها وتحاول أن تلفها بحجاب لا يشوه روحها بقدر ما يعطيها بعدا من ثقافة القبول والتسامح مع الآخر. هذا الآخر الذي كان سببا في استشهاد أكثر من مليون جزائري. لعلك تشعرين مثلي تماما بعاطفة خاصة تجاه هؤلاء الشهداء، وربما أكثر مني، وأنت أخت الأسرى والشهداء.

لفرنسة الجزائر حديث مرعب أيضا، ثقافيا، حيث إحلال الثقافة الفرنسية محل العربية، واللسان العربي والذاكرة العربية، ولكنها لعدالة قضيتها الإنسانية انحاز إليها كثير من الكتاب الفرنسيين في الوقت الذي كتب بلغة المستعمر كتاب جزائريون كثيرون من آسيا جبار، إلى ابن جلون والطاهر وطار وغيرهم الكثير. ولنا أن نتخيل

ومعنا كل المثقفين كيف ينحاز عربي لثقافة مستعمره، فيكتب بلغته، تصوري مثلا لو كتبنا باللغة العبرية، وأنشدنا أشعارنا بالعبرية، ومجدنا شهداءنا بالعبرية، واعتبرنا ذلك انفتاحا وتسامحا مع الآخر. أعرف موقفك من ذلك، ولكنه مجرد استدعاء للمقارنة، فها نحن نتشابه مع هؤلاء الكتاب، وكل ما أخشاه يا عزيزتي أن يأتي يوم، ونغني كما غنى موسى حجازين: "يا خوفي تتكلم عبري" في مسرحيته الساخرة "الآن فهمتكم". أتظنين أن الأرض لم تتكلم العبرية بعد؟

هذا الحديث المرعب عن الفرنسة والعبرنة، يفتح سيرة حديث مرعب آخر عن صحوة الأمازيغية، على الرغم مما يقال إن أصل الأمازيغ عرب، ولكن المشكلة ليست قومية، ولا هي عرقية، فليكن الجزائريون أمازيغ، وماذا يضيرهم ذلك؟ ولكن أن تتحول الأمازيغية قرينة للفرنسة في القضاء على وجه الجزائر العربي حينها تكون المعضلة الحقيقية، لو نظر إلى الأمازيغية بعين أخرى سترى فيها وجها آخر للتنوع الحضاري، هذا التنوع الذي استفاد منه كتاب كبار كأحلام مستغانمي التي لا يبدو في كتاباتها أي أثر للفرنسة أو الأمازيغية في كل تلك الكتب التي قرأتها، بل إنها تعطي للغة مذاق

العربية الخالص وتتشبع كتاباتها بروح عربية شرقية خالصة، مع أنها ابنة للثقافة الفرنسية، وتحمل شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون.

ولا يغيب عن البال كذلك الكاتب الكبير واسيني الأعرج وزوجته الشاعرة زينب الأعوج اللذين يمثلان في حضورهما الإبداعي الثقافة العربية الخالصة، ولعل واسيني من أكثر الكتاب الجزائريين اهتماما بالقضية الفلسطينية، فهو يحرص مع كل عمل روائي أن يكون هناك طبعة خاصة بفلسطين، يوقعه على أرضها، وبين جمهور المثقفين الفلسطينيين العاشقين للجزائر وأدب الجزائر، ويتبرع بريع تلك الطبعة لصالح المؤسسات الفلسطينية تلك التي توجه عنايتها واهتمامها بالأسرى الفلسطينيين. وأظنك قد استمعت له غير مرة في متحف درويش كما استمعتُ له مرة واحدة فقط عندما زار نابلس منذ ما يقارب العامين.

أحب أيتها الغالية أن أعرفك على علاقتي الشخصية بالجزائر. أعترف أولا أنني لم أزرها، وربما لن أزورها في يوم من الأيام، ولعلك أيضا لم تزوريها، مع كثرة أسفارك.

حكايتي مع هذه "الشامخة" حكاية خاصة؛ فأول حوار معي كان قد نشر في صحيفة جزائرية تدعى "حوار الإبداع" كانت مقدمتي إليهم صديقة جزائرية كاتبة اسمها "ليلى رابح". انقطعت أخبارها، ولم أعد أعرف عنها شيئا؛ فمنذ ما يزيد عن عشرين عاما تعرفت إليها من خلال المنتديات الإلكترونية الأدبية قبل انتشار "الفيسبوك" أو معرفتنا به، وكان بيننا مراسلات بالبريد الإلكتروني. تكتب ليلى مجموعة قصصية، فأكتب لها مقدمة نشرتها في كتابي "شهرزاد ما زالت تروي"، وكانت صحيفة العرب اللندنية قد نشرتها حينها كمقال مستقل. غابت "ليلى رابح"، وبقيت مجموعتها محفوظة في ملفات الحاسوب لدي، أفكر أحيانا بالإقدام على نشرها بدلا عنها، لكنني أحجم عن هذا الأمر، ربما لا يحق لي فعل ذلك؛ إذ لا أدري أنشرت المجموعة أم لا؟ ولا أدري استمرت في الكتابة أم توقفت؟ وكم بحثت عنها عند العم (جوجل) فلم أعثر على نتائج حديثة للكاتبة ولا لمجموعتها القصصية التي اشتملت على قصة بعنوان "الشاعر والتابع والماجن" أخبرتني أنني الشاعر المقصود فيها.

يتتابع اهتمام الصحف الجزائرية بما أرسله من مواد أدبية، فنشرت لي عدة صحف جزائرية: "الجزائر الجديدة" و"الجديد

اليومي" و"السلام اليوم" و"الحوار" و"الاتحاد" و"الأيام" و"الشعب" و"المواطن" ولي أصدقاء كثيرون أعرفهم ويعرفونني من خلال تلك المقالات، ولم يعد مفاجئا أن تحتضن تلك الصحف مقالات الكتاب الفلسطينيين، بل إن بعض تلك الصحف تتبنى قضية الأسرى الفلسطينيين وتنشر ملحقا أسبوعيا تحت عنوان "صوت الأسير"، وبعضها يحرص أن يكتب في صدر صفحتها الأولى "نحن مع فلسطين ظالمة ومظلومة". وكم كان يصيبني الزهو بشعوره الحاد المفرح عندما أجد لك مادة منشورة في إحدى تلك الصحف، فأسارع بنقل الخبر أكاد أطير من نشوتي العارمة.

أمر آخر أحب أن أحدثك به في علاقتي بالجزائر، وربما تشاركيني فيه كذلك، فقد تفتح وعيي على ثورتها الكبرى وتضحيات أبنائها وثوارها، وما زالت صورة عبد القادر الجزائري مرتبطة في ذهني بصورة عبد القادر الحسيني واسمه، ولم تغب الجزائر عن حركة الثقافة الفلسطينية فقد درسنا في الجامعة نصوصا كثيرة من الأدب الجزائري، فوقفنا عند رواية "الشمعة والدهاليز" وقصة "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" للطاهر وطار، وعندما أصبح لدينا منهاج فلسطيني خالص، أدخل المؤلفون نصوصا من الأدب

الجزائري، وأعدوا مواد دراسية تتناول بعض أعلام الجزائر، فغير الثائر عبد القادر الجزائري، كان هناك حضور في إحدى دورات منهاج اللغة العربية للمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد محمولة على متن قصيدة لنزار قباني، يشبهها بجان دارك الفرنسية ذات الأثر الكبير في تاريخ فرنسا الملكية.

المحبوبة الأعلى شأنا وقدرا:

علي الاعتراف أن لي صديقات جميلات من الجزائر صحبنني فترة من العمر، صديقات نثرن الورد في صباحاتي، وأنعشن ذاكرتي، وجعلن الحب للجزائر وأهلها حيا يعادل مسالة الوجود ذاته. فيا لله كم أحب الجزائر، وأهل الجزائر، ونساء الجزائر، وثوار الجزائر، وأنتمي إليها بلدا عريقا حافلا بالأدب والتاريخ المجيد والطبيعة الزاهية، والإنسان الأمازيغي الذي يعطي ولا يبخل ويصنع الجمال، فلسان الحال يقول: إن لفلسطين أختا تحبها مكتوب اسمها في صحف المجد، معروفة بأنها "الجزائر"، تلك الحرة التي نعشق تاريخها ونجلّه.

لا أود الانتهاء من الحديث عن الجزائر، ولكن لا بد من إنهاء هذه الرسالة التي أخذت تطول كثيرا. يسعدني أن تشاركيني ذكريات أو

معلومات عن تجربة خاصة لك عن الجزائر أو أي بلد آخر، أحب أن أرى العالم في عيونك، وهو يموج على متون صحائفك.

لك الرضا والمجد والحب

المشتاق: فراس حج محمد

العيد في فلسطين غير والله غير

الخميس: 2021/5/13

أسعدتِ صباحاً وعيداً أيّتها المترائية كهذا النصر المرتقب، أمّا بعد:

هذا هو يوم عيد الفطر الذي اعتدنا أن نصفه بالسعيد، وكنت ألاحظ في صغري أنّهم لم يقولوا عن أيّ عيد أنّه سعيد سوى عيد الفطر، لعلّ ذلك عائد إلى الحديث الشريف المشهور: "للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه"، والفرحة تستدعي السعادة، لذلك قالوا ما قالوا.

لهذا العيد نكهة مميّزة، فهو عيد مختلط بصور العنف والدمار وضرب الصواريخ. لا أخفي عليك فرحتي بمنظر صواريخ غزّة، وهي تهمي كالمطر في العمق "الصهيوني". أستمع للأخبار بشغف. أتتبّع مساقط الصواريخ فأبتهج، أحبّ أن تُسقط تلك الصواريخ ضحايا "صهاينة"، ليس حباً في القتل، فأنا لا أحبّ الدماء، ولا منظرها، لكنّ سقوط الضحايا في صفوف "الأغيار"، تعني لِيَ نوعاً من الردع والتوازن، فهم يألمون حقاً كما نحن نتألّم. آمل أن يرتدعوا عن قهرنا لنعيش بسلام، وإن سلامٌ مؤقت، حتّى "يقضيَ الله أمراً كان مفعولاً". مع كلّ هذا الألم إلّا أنّني استفتحتُ النهار بالكتابة على

(تويتر) و(فيسبوك): "العيد في فلسطين مختلف، في القدس له لحن الألوهيّة، في غزّة له مذاق النصر، في الداخل الفلسطيني له سمة الرهبوت الفعلي. العيد في فلسطين غير، والله غير".

لعلكِ مثلي مبتهجة لما يحدث، مع أنّه لا توازن بين القوّتين، ولا أريد أن أتحوّل إلى محلّل سياسي، وإنّما لا أجمل من ضعيف مقهور محتلّ، يحاول أن يكون قويّاً، ولا أجمل من سجينٍ شرس، تحوّل إلى نمرٍ لأنّه محاصر، فخمّش بأظافره وجوه محاصريه. أنا سعيد لهذا وجدّاً، بغضّ النظر عن الضحايا، الشهداء، ومن قال إنّ من يريد أن يتحرّر لا يدفع فاتورة الحرّيّة، ففاتورة الحرّيّة ليست مالاً، إنّها دَمٌ وشهداء.

وجوه الشهداء باسمة في هذه المعركة، بل ووجوه الأحرار باسمة أيضاً، ووجوه المعتقلين تنضح بالبشر والبشرى، في القدس كانت الفتيات مبتسماتٍ، وكان الشباب باسمين في لحظة الاعتقال والاشتباك، لا يكفّون عن المقاومة حتّى بالابتسامات، يواجهون عيون الكاميرات بابتساماتهم الراضية، ويصفعون بها وجوه الأغبياء والزعماء، والقادة الذين لم يكونوا إلّا بحجم ذبابة، ولم تشكّل

صورهم إلا مساحة ظلٍّ لحذاءٍ منتفضٍ في القدس المطهّرة من أمثالهم.

لقد كانت هذه هي الصورة أيضاً داخل المعتقلات، كما كتب صديقنا الحيفاوي الأصيل حسن عبّادي الذي زار الأسرى قبل العيد بأيّام، فوجدهم على ذات الهيأة، باسمين، بل علت ضحكاتهم، فأزعجوا السجان بهذه الضحكات الصافية المحمّلة نشوة لن يعرف الأعداء لها طعماً إلّا أنّها تؤشّر على الحياة، لذلك فإنّهم يغضبون. عليهم أن يواجهوا الابتسامات بالحقد والرصاص والقنابل والهدم، ولن يستطيعوا بعد كلّ ذلك هزيمة ثغرٍ مبتسم مهما أوتوا من قوّة وجبروت، فلا يستويان؛ طالب حقّ وحياة، وطالب موت ودمار.

كم كان المنظر جميلاً، رائعاً، مفرحاً. فقد جعلوا العيد بمذاق مختلف. أنا لا أحبّ العيد إلّا هذا العيد، إنّ فيه سرّاً ما، لعلّه يخبّئ فرحة كبرى. كتبتُ فيه، وضحكتُ فيه، وسهرتُ فيه، واستقبلتُ الزائرين فيه، وزرت الأقارب فيه، ولبست أجمل ما لديّ من ملابسَ فيه، وتطيّبت فيه، وكتبتُ شعراً للشهداء وللأقصى ولغزّة فيه،

فـ"غنيتُ غزّة أهلها الصيدا، والعيد يملأ أضلعي عيداً" فيه، وهاتفتُ الأصدقاء، وأنا معبّأ بالرضا والسعادة فيه.

بالتأكيد، أيّتها الغالية، ستكون الفرحة كبرى لو كنت معي الآن، أو تبادلنا حديثاً عفويّاً عبر الهاتف. كالعادة، ستكون صورتك هي التي تكمل المشهد دائماً، أنت معي في كلّ وقت، لا تسمحي للشكّ أن يلعب بثقتك، أنا أنظر إليكِ برؤياي البعيدة، فأراك حاضرة تكتبين معي للشهداء، وللقدس، ولغزّة، وللأرض التي أخذت زينتها في هذا العيد السعيد.

أرجو أن تقرئي ما كتبته من شعر جديد، إنّني أعود إلى الشعر مفعماً برائحة الشهداء الذكيّة، إنّها عودة خاصّة، كأنّني أنا الشاعر المقصود: "وشاعر ينشَط وسط المعمعة". كتبتُ للشهيد المبتسم "حمزة" خماسية. يبدو حمزة هذا الطفل البريء مبتسماً ضحوكاً في مشهدين مكتملين، مشهد من حياته، ومشهد ارتقائه إلى العلا. كتبتُ له أغنّي لتلك الابتسامة التي تتحدّى الحياة وقسوتها وتتحدّى الموت ورهبته بنداوتها البهيّة، وكتبتُ للمبتسمين أيضاً، فكم كان المنظر شاعريّاً شعريّاً، لوحة إبداعٍ عفويّ بحدّ ذاتها.

يا ليتني أستطيع أن أفعل أكثر ممّا أفعل الآن، فأكتب بالفعل، لا بالقدرة على الكتابة فقط، يا ليتني كنت مقاتلاً؛ جنديّاً في صفوف المناضلين، أحمل السلاح، وأغنّي على وقع الرصاص في المواجهات. يا ليتني كنت قادراً على أن أكون في القدس مع المرابطين، أو مع الهاتفين في شوارع حيفا، ويافا، والناصرة، واللدّ. أكاد أسمع توفيق زيّاد يهتف في الجموع: أناديكم، أشدّ على أياديكم، ويقول للمحتلّين إنّنا: "عشرون مستحيلْ/ في اللدِّ، والرملةِ، والجليلْ". اللدّ، يا له من مشهد عظيم فاق خيال الشعراء، في انتفاضتها التي قلبت كلّ الموازين، وخطّأت كلّ الحسابات.

لا أجمل من شعور المرء بالسعادة، أيّتها الحبيبة، لا سيّما إن كانت السعادة آتية من شعور جمعيّ، فلنا نحن أهل هذه البلاد أيضاً فرحتان: فرحة عند اللقاء، وفرحة عند الشهادة وارتقاء الشهداء. إنّه يصدق فينا قول الشاعر:

فرحـــوا فـــلألأ تحـــت كـــلّ ســـما

بيـــت علـــى بيـــت الهـــدى زيـــدا

لعلي أراك قريباً، وقد أسفرت وجوه الشهداء الباسمين عن نصر مؤزّر، وأنورت وجوه الأسرى بفرحة الحرّيّة وإشراقات المجد على

الرمل والبحر والبر والسهلِ والجبل، فعمّ الضياءُ أعماق الحنايا، وزغرد الليلُ وَضَاء.

المشتاق إليكِ بنشوة المنتصرين كأنّني واحدٌ منهم:

ف. ح

السبت: 2021/5/15

يسعد مساك فراس،

طمني أولا، كيفك؟

الرسالة جميلة يا شاعر، وأعتذر عن التأخر في قراءتها. رحنا أنا و(إ. ه) الشيخ جراح مبارح، واليوم كنت في مظاهرة الصبح. للأسف، ماذا عسانا أن نفعل سوى أن نتظاهر. هذه ليست حربنا فقط، هذه حرب اليهود بينهم، وحرب على الوعي العربيّ الشّاب الذي أثبتَ أنه جيل صامد لا يندمج ولا يذوب.

برغم كلّ المأساة والإحساس بالخوف هناك إحساس بالسّعادة، والعيد هذه المرّة غير، فعلا غير...

دمت بألف خير.

ر. غ

السبت: 2021/5/15

يسعد قلبك.

ما تتصوري سعادة أهل الطيّبة في المثلث كيف زرعوا العلم الفلسطيني محلّ سقوط لصاروخ. لعلنا وعسانا نرى يوم عزة قبل أن نموت.

كل التحية...

ف. ح

إنّه لنهار مختلف

إنه نهار "الواحد والعشرين" من أيار لعام 2021

أسعدتِ صباحاً وأوقاتاً، وأرجو أن تكوني مثلي فرحة مسرورة بما أسفر عنه وجه الحرب الكالح. أما بعد:

لقد فاتني شرف انتظار اللحظة الحاسمة، فَرُحت في سبات عميق. ضرب على أذنيّ فلم أصحُ على وقع الرصاص الذي انطلق احتفالا بانتهاء الحرب على غزة بالشكل الذي انتهت إليه. الناس في غزة لم تنم واحتفلت، وفي رام الله، هتافات وسعادة وبهجة، إنها صورة أخرى من المقاومة الشعبية التي لم تخفت. لن يفهم المشهد إلا من صنعوه بعفوية، غزة قبل ساعات قليلة، بل ربما قبل ساعة كانت تحت القصف والشهداء بالعشرات والجرحى والهدم والدمار، وبعد كل ذلك، ينهض الشعب الذي لم يهنأ بليلة واحدة على مدى أحد عشر يوماً ليحتفل. إن الشعب غير منهك، غير مهزوم، لا يشعر بالعار أو بالذل. على العكس من مدن محتلة، فعسقلان نعمت بليلة هادئة، فانسلّ السكان إلى غرف نومهم هادئين، "وبضدها تتميز الأشياء".

إنه لأمر عظيم ما جرى، وإن لم يكن كبيراً في المفاهيم السياسية، فظلت غزة محاصرة، وظلت فلسطين كل فلسطين محتلة، وظل بايدن يدعم إسرائيل، وظل المجتمع الدولي منحازا متواطئاً، لكن الدرس الأهم من كل ذلك هو أن الحرب أعادت اللحمة للشعب كل الشعب من أقصاه إلى أقصاه.

أمس، كنت في حوار مع صديقة، تشعر بالخجل، لا تريد أن تكتب في الحرب، إنها تشعر بالعجز. هكذا بدت وكأنه لا شيء لديها لتقوله. بدوري أنا أحب الحرب، ولا حرب بلا ضحايا وآلام، بل كلها آلام؛ خلال الحرب وبعدها، ولكن لا بد من أن نخوض المعارك. الحرب تشعرني بأني حيّ، حالة الهدوء القاتل حالة تشير إلى الالتباس، حالة اللاسلم واللاحرب.

الحرب كاشفة وفاضحة يا عزيزتي، في الحرب طلّقت قناة "العربية"، إنها سيئة بما يكفي لتبصق في وجوه القائمين عليها، بدت منحازة بشكل فاضح للإسرائيليين، وتحرضهم علينا، وتتمنى لنا الهزيمة والانكسار. صحيفة العرب التي تصدر في لندن يبثّ بعض كتابها سمومهم في تحليل مواقف المقاومة. إنه لا يرى المقاومة أكثر من مرتزقة تخدم لصالح إيران. هذا الكاتب (ولا أريد ذكر اسمه

ترفعا لأنه لا يستحق) يبول على نفسه برذائل قوله، ثمة آخرون مثل "العرب" و"العربية" وهذا النكرة، لا شك في أن ما آلات إليه الأحداث سيزعجهم، وسيلطخون اللغة بغرائب تحليلاتهم، وإشاعاتهم الباطلة التي كانت تروج للهزيمة وقبول شروط مجحفة عبر ما ادعوا من امتلاكهم لوثائق مسرّبة. ثبت أنها لم تكن موجودة.

إنني أشبهكِ تماماً في أنني لا أعوّل على أمثال هؤلاء، والحرب بطبيعتها توجد "مرجفين في المدينة"، ومنافقين، وتقسم الناس أقساماً متنوعة، ولكل هدف ولكل غاية، وهم أحرار فيما اتخذوه من مواقف، وإننا أيضا أحرار في اتخاذنا المواقف التي تناسبنا ونحبّ من يحبنا ويقف إلى جانبنا.

ليس بعيداً عن الحرب، أودّ أن أبلغك أن مقالتي "المثقفون الفلسطينيون والحالة الراهنة" قد حازت نسبة قراءة عالية، والتفت إليها كثيرون. يهاتفني أحدهم على إثرها وبعد أن وشى بي "شخص" ما، لم يذكر اسمه وأنا لم أطلب اسمه. المقالة موجعة للمثقف الفلسطيني الذي أصبح بالفعل "مثقف سلطة" ولا حول له ولا قوة، وأقصى ما يستطيعه الخروج بمظاهرات سلمية، والكتابة على الفيسبوك. ربما تقولين إنك لا تفعل غير هذا. نعم

معك حق، فأنا لا أفعل غير هذا، ولكنني لست مع أي سلطة كانت. فلا أمدح أحدا ولا أهجو كذلك. أنتقد وبشدة وبموضوعية. كيف لي أن أرى احتفالا رسميا في رام الله في ذكرى النكبة يطيّر بلالين في الهواء ولا أسخر، بلالين في رام الله، وصواريخ في غزة في ذكرى النكبة التي وحدت الشعب كل الشعب، أي تناقض سخيف في عقد المقارنة أساساً. إنه مشهد مذل ومخزٍ بالفعل أشعرني بالقرف. الدرس الذي تعلمته من هذه المفارقة الحادة كيف أن "السلطة" تدخلنا في جحور واطئة السقف، والمقاومة تجعل سقف طموحاتنا السماء المفتوحة على المطلق. المقاومة تدفع بنا إلى الأعلى والسلطة تجبرنا على الدخول في النفق المظلم ورؤوسنا منحنية. هذا هو الفرق بين المقاومة وبين السلطة، وعلى المثقف أن يختار في أي صف يكون.

رام الله اليوم في الواحد والعشرين من أيار العظيم تلغي المشهد بسخافته لتكون صدى غزة وأم الفحم واللد، إنه مشهد تجريبي ليوم التحرير القادم شاء من شاء وآبى من أبى "واللي مش عاجبة يشرب من بحر غزة" أو يغرق فيه. لا ضير، "بريّحنا" من شره.

اليوم هو العيد، بعد أن تأخر العيد، فغزة في اليوم الثاني عشر ينبلج فيها قمر العيد الكبير، فلتحتفلي معي، بما يليق بهذه الفرحة العارمة، فيا ليتك كنت معي الآن، لكنا في التحام الاشتياق الذي يرفع نسبة الشوق إلى أقصاه لنتحد في مشهد العشق على وقع دقات الفرح الكبير، فلا أجمل من حبيبين يحتفلان بالنصر على طريقتهما الخاصة. لا أريد أن أكتب شعرا للنصر، وإنما أريد أن أكتب في أحشائك أجمل لحظات الشوق والاشتياق وأرى وجهك مشرقا متهللاً ونحن في أجمل حال وألطف مشهد بعد الحرب، فنحن نحب الحياة أيضا ما استطعنا إليها سبيلاً.

أراك بخير أيتها الرائعة، وعلى أمل قريب في موعد قريب لعلنا نحتفل كما ينبغي لعاشقين افترقا، وها هما يدخلان الشهر الرابع وهما في تنافر وقطيعة. ألم يكن بمقدور غزة أن تصالحنا. يبدو أن الأمر بالنسبة إليك أكبر من غزة ورام الله وفلسطين. على العموم أتمنى لك الخير وراحة البال.

المشتاق إليك

ف. ح

الجمعة: 2021/5/12

يسعد أوقاتك فراس،

كيفك؟

لستُ سعيدة بشيء. مخجل وعار ما حصل. المئات ماتوا، الآلاف أصيبوا. الصّورة نفسها لم تتغيّر منذ 48، الدم الفلسطينيّ الذي تتعطّش له الشاشات وكتب التاريخ. كلمة مجزرة واجتياح وقصف، حكر على الفلسطينيّ وحده. أي نصر وأي هزيمة وأي شهادة وأي حزن وأي بهجة؟

لا أريد حربا، ولا سلما، ولا دما، ولا انتصارا. لم يعد هناك ما يقال يا فراس. النّاس؟ نحب الحياة، والحياة لا تحبّنا، يبدو.

هذا ألم، وهذه المرة بتوقيع الجميع. لديّ غضب لا يمكن وصفه، علينا نحن الفلسطينيين، أكثر من أي طرف آخر.

ر. غ

الجمعة: 2021/5/21

لا أدري يمكن هناك شيء آخر.

لا تتوقعي أن يكون كما نحلم.

الإفراط في الأمل يؤدي إلى اليأس أو الغضب، ويبدو أنك كنت تعولين كثيرا على الأحداث. ببساطة شديدة يُسرق كل شيء بجرة قلم. وعلينا أن نرى ذلك الجانب المخفي من هذا الظاهر المؤلم.

ف. ح

"إنتِ وأنا يا رَيْتْ عِنّا بَيْتْ"

الأحد: 2021/5/23

أسعدتِ أوقاتاً أيتها الجميلة كوحي يبني بيتاً جميلا ولو كان بيتاً في قصيدة.

لديّ كمشة أفكار أريد أن أنثرها بين يديك. ها هي الحرب قد انتهت، ولكن لا أوجع من الحرب إلا ما بعد الحرب. آلام كثيرة وكبيرة. صديقة كاتبة من غزة تباشر بكتابة يومياتها. دار حديث بيننا بعد أن انتهت الحرب، شجعتها على أن تكتب، فكتابة من عاش الحدث ليس كمن شاهده من بعيد، وكتب عواطفه البرانية وتحليلاته وانطباعاته.

للحرب أيضاً أهميتها وعليّ أن أشكرها فقد أعادت وصل ما انقطع من علاقات مع أصدقاء وصديقات، هاتفتهم لأطمئنّ عليهم، ولتدور بيننا أحاديث حول الحرب وغير الحرب. أرأيت كيف يمكن أن يكون للحروب وجوه أخرى؟

لقد كتبت عن الحرب، وها أنا أكتب، ربما هي الموضوع الذي لا ينتهي منه الحديث، فكل يوم تقرئين قصة مؤلمة أو تشاهدين صورة

أو تستمعين إلى طرفة أو موقف ما. الشيخ "حسني اللحام" كان مدهشا بعفويته. الحرب أوحت له بهذا الذي سمعناه لولا الأرجيلة ودوائرها التي تطرفت النكت في ملاحقتها. بالفعل لقد أحببت أسلوبه، كنت دائما أطمح أن أكون خطيبا مثله أو ما يشبهه من الخطباء الذين كنت أستمع إليهم، وأحفظ مفرداتهم وحركات اليدين والرأس. لم أستطع أن أكون خطيبا للأسف، جربت الخطابة وكنت متواضعا في ذلك، لا الصوت ولا الهيأة يمنحانني مؤهلات الخطيب المفوّه.

مشهد ما بعد الحرب يبدو جميلاً، لم أشعر بالقتامة تخيّم على منشورات الناس في الفيسبوك، صحيح أن هناك دمارا وشهداء وجثثا وأنقاضاً إلا أنها لم تجعل المشهد قاتماً. الحرب قاسية، لكن ليس لها قدرة على كسر الإرادة. فلم تتعامل الناس بسوداوية مع تلك المشاهد، بل كان الأمل بازغاً من بين عشرات الصور والمنشورات.

يوم الخميس قبل الإعلان عن وقف العدوان، يأخذنا أنا وزميل لي حديث الحرب إلى ما يقوم به الاحتلال من بطش وهدم البيوت والأبراج السكنية. أخذني الحديث وتشعب. توقفنا مليا عند دلالة

"هدم البيت" ماذا تعني؟ إنها لا تعني مالا، ولا مجرد تشريد، إن البيت هو المأوى والمستقر، هو الأمن والأمان، هو المكان الوحيد الذي تكون فيه صادقا مع ذاتك، متجردا من كل أقنعتك، هو المكان الوحيد الذي تدخله، فتشعر أنك في ملكك، البيت ليس مجرد جدران أربعة، لذلك فإن الإنسان يترك شيئا من روحه ونفسه وجسده في المكان الذي يألفه ويعيش فيه. المحتلون عندما يهدمون البيوت، لا يقصدون تشريدنا وتعذيبنا فقط، إنهم يقصدون تجريدنا من هذه الخصوصية وهذا المُلك، ويقتلون أجزاء منا يدفنونها تحت الأنقاض من المستحيل أن تعود. من فقد بيته يفقد كل شيء!

البيت- يا عزيزتي- علامة حضارية وعلامة تمدّن، لذلك عرف البشر تطورا عمرانيا في زخرفات البيوت، منازلنا هي الجنات على الأرض، ليس كأهل البادية الذين لا يرتبطون بالمكان إلا بقدر ما فيه من عشب وماء فلا يبنون بيوتاً، فإذا نضب الماء وانتهى العشب رحلوا. فعلاقتهم بالمكان علاقة آنية مرحلية، دون ألفة ودون ذكريات في الغالب، ليس كمن ولد في منزل وعاش فيه عمره كله. المنافي لا تصنع بيوتا والتشريد لا يصنع بيوتا، لذلك يستميت المحاربون في الدفاع

عن بيوتهم، فاحتلال البيت معناه القضاء عليك لتصبح كائنا لا إنسانيا من وجهة هؤلاء المجرمين.

نحن الفلسطينيون علاقتنا مع البيوت علاقة طويلة، حمل الأجداد مفاتيح البيوت عند التشريد، لأنهم كانوا يعتقدون أن أجزاءهم الباقية في تلك البيوت في مأمن ما دامت المفاتيح في الأعناق. مات الأجداد وهم يتوقون للرجوع إليها، بل إنهم لم يشعروا بالاستقرار وكانوا على قلق وهم في منافيهم. يقفز إلى ذهني قول درويش عن تلك البيوت الذي يفكر فيها أصحابها الذين هجّروا منها قسراً: لماذا تركت الحصان وحيداً؟ / لكي يؤنس البيت، يا ولدي/ فالبيوت تموت إذا غاب سكانها".

لا شك في أن لديك الكثير من الأفكار حول البيوت وأهميتها، ولن أسترسل حتى لا أشعرك بالملل. لعلك الآن تستذكرين كل تلك البيوت التي سكنتها في الغربة، وفي الوطن قبل الغربة وبعدها. أظن أننا من الأجيال التي تحب البيوت كثيرا، ولنا فيها حكايات وقصص، في الشتاء وفي الصيف وفي النهار وفي الليل. فأجمل مكان في العالم بالنسبة لي هو بيتي، ولولا دواعي العمل لا أفكر بالخروج منه مطلقاً.

أشعر أحيانا أن علاقتنا ناقصة، فلا بيت لنا سويا نمارس فيه شهوتنا كما ينبغي. غرف الفنادق ليست بيوتا صالحة للحب وممارسته، إنها مكان عابر ليس لنا، سينام على الفراش ذاته بعدنا، كما نام قبلنا العشرات، بل ربما المئات، ولم نكن حريصين على أن نترك شيئا منا فيها، بل إننا نكون في أشد الحرص على تجريد المكان من كل ما يعلق به منا. نخرج من الغرفة ونغلقها وكلنا يغادر معنا. أو يموت على أبواب تلك الغرف. كأنّ شيئاً لم يكن، لم تكن تعطينا غرف الفنادق شيئاً سوى الألم، لأن ما بعدها الفراق واللامكان. لم أعد أتذكر أرقام تلك الغرف. ألم تلاحظي معي، إنهم يختصرون الغرفة برقم، ونحن إذاً كنا النازلين بتلك الأرقام أرقاماً مثلها، تترجم عند إدارة الفندق أجرة وعدد نازلين لا شيء غير ذلك.

كم أشتهي زيارة بيتك، ورؤيتك فيه غزالة تمرحين، تأخذين زينتك وحريتك دون أي أقنعة، كنت غبيّا عندما أتيحت لي الفرصة لأكون في بيتك ولم آتِ إليك. أعرف أنني أيضا خسرت شيئا مهما، فلم أتذوق إلى الآن طعامك الذي تعدينه بخبرة ربة بيت ممتازة. طعام الفنادق والمطاعم ناقص لا روح فيه، لم أكن أجد فيه لذة الطعام المعد بيتياً، يغيب عنه ذلك النفَس الذي كانت تعنيه أمي عند

حديثها عن إعدادها للطعام. ولولا أنك معي لما استطعت أن آكل بلذة وشغف. لم أعد أتذكر طعم وجبة أكلناها سويا، وما أكثر تلك الوجبات! وما أقلّ حضورها في الذاكرة!

كل شيء في البيت له مذاقه الخاص حتى الضحكة لها رونق خاص، والنكد له شكل خاص، والعصبية لها مزاجها الخاص. يا ليتنا في البيت الآن وليكن ما يكون! فلو كنا في بيت واحد لم يطل غضبك كل هذه المدة. أرأيت كم يخسر المحبون عندما يخسرون بيتا يضمهم، ويضمد جراحهم، ويداوي أوجاعهم، ويبدد غيوم غضبهم؟

أستميحك عذراً، لقد شعرت بالتعب فجأة، وانقبض قلبي وأريد أن أتوقف عن الحديث، فقد صار الحديث موجعاً، ولا طاقة لي على احتمال الألم.

أخيراً أقول: لعلنا نلتقي...

تحياتي

ف. ح

الأحد: 2023/5/23

يسعد صباحك فراس

قرأت رسالتك، رسالة جميلة رغم الحزن المنبعث فيها. رغم فقدان بيوت كثيرة بالحرب والاستيطان الخبيث، فالبيت تلك المساحة التي نمارس بها حياتنا اليومية بنوع من الحرية.

نعم إنها رسالة للعالم لا أغلى من بيوتنا التي فقدت، ولا أغلى من ذكرياتنا بتلك البيوت المفقودة التي تحاصرنا بالذاكرة ما دام بنا روح ونفس سنبقى نحمي بيوتنا.

تحياتي القلبية.

إ. س

نحاربهم أيضاً بالأغاني والهاشتاج

الأربعاء: 2021/5/26

أسعدتِ أوقاتاً سيدتي الجميلة، أرجو أن تكوني بخير، وآمل أن تكون رسائل ما بعد الحرب قد وصلتك وقرأتها، وأن تكون قد أعجبتك. لا شيء جديد على صعيد الكتابة والقراءة غير هذه الرسالة. في ظل هذا الوضع أجمع كتباً إلكترونية. أقرأ فيها، ولم أجد فيها ما يشجعني على إنهاء أي كتاب منها. القراءة مملة بعد الحرب أيضاً. أخبرك أن كتابي "استعادة غسان كنفاني" قد دفعت به إلى دار النشر، لعله يكون جاهزا مطبوعاً بين يديك في ذكرى استشهاد غسان كنفاني التاسعة والأربعين. كم متلهّف على طباعة هذا الكتاب! لم يصلني إلى الآن شيء من "البروفات" للكتاب أو الغلاف.

لعلك لاحظت- كما لاحظتُ- أن للحرب تأثيرا فنياً جميلا، عدة أغنيات كانت رداً فنياً منظما على الحرب العشوائية، سمعت "ناي البرغوثي" و"فراس البوريني" و"محمد عساف" و"أحمد الكردي"، وعادت فرقة العاشقين في أغنية جديدة. لقد أثبتت هذه الأعمال الفنية كم كان للأثر الحربي من أهمية في عودة الفنّ إلى الحياة. تاريخ طويل من الأغنية الفلسطينية صنعته الثورة الفلسطينية في

أوج تألقها ومدها الشعبي. ها هي بشائرها تطلّ من جديد. الثورة تصنع مزاجيتها الشعبية في أغاني الحب والحرب والحرية.

هذه ظاهرة جديرة بالملاحظة، وبعيداً عن تأمل الكلمات والمشاهد المصاحبة من صور، إلا أنها اتفقت جميعها على أن هناك أملاً، وأن هناك قوةً، وأن ثمة حياة بدت تدبّ في أوصال الشعب، على الرغم من الدمار.

ما زلت أتذكر قبل سنوات، عندما فاجأتني أنك قد كتبت كلمات أغنية، لقد أعجبتني تلك الكلمات وذاك الأداء أيضاً، والمشاهد المصاحبة لتلك الأغنية. الشعب الحيّ هو الشعب الذي يرى الأمل وسط غابة كثيفة من الحزن والألم. أليس كذلك؟

ظاهرة أخرى من ظواهر حرب غزة لهذا العام، لقد قصف الاحتلال المكتبات، أهم مكتبة في غزة، مكتبة سمير منصور، ليست هذه المكتبة فقط، إنما هناك مكتبات أخرى قصفت، وأحرقت، مشهد عظيم، لا أدري هل هو عفوي أم لا، عندما عرضت صورة لتلك المكتبات المدمرة، ليظهر فوق الركام كتاب غسان كنفاني "عائد إلى حيفا". هل تظنين أن المشهد عفويّ؟ ربما رتبته يد ما قبل التصوير، وبث التقرير على قناة الجزيرة. حتى لو كان مرتباً. إنه مشهد عظيم،

يعيد إلى الأذهان سيرة غسان كنفاني هذا الكاتب الفلسطيني العظيم الذي راح ضحية العنجهية الصهيونية. إنها استعادة محمودة ولو كانت مرتبة، وذات دلالات قوية.

لا أعرف صاحب المكتبة، لكنّ له فضلاً عليّ، لقد احتضن بعض كتبي، واستطاع القراء في غزة الحصول عليها من هناك: ديوان "وأنت وحدك أغنية"، وديوان "مزاج غزة العاصف"، وربما كتب أخرى. أليس من واجبنا إعادة إعمار المكتبة، بناء وكتباً؟

كل الغزاة الطغاة سيئون ويكرهون الكتب، وكثير منهم أحرق مكتبات ضخمة، إنهم يدمرون التاريخ والحضارة والذاكرة، منذ التاريخ الموغل في القدم والغزاة أعداء للكتب، قبل هولاكو وبعد نتنياهو سيظل الطغاة أعداء للكتب، لأن الكتب وحدها بمفهومها الشامل هي التي تحارب التطرف والتقوقع في "غيتوهات" قاتلة، وترصد حركة الغزاة الوحشيين وتحاصرهم في إبراز وحشيتهم ليعرفها الأجيال ويلعنوهم.

على ما يبدو- يا عزيزتي- أن الحرب لم تكن حربا ذات شكل واحد، ثمة حرب إلكترونية علينا، ها هو موقع يوتيوب يحذف الكثير من المحتوى الفلسطيني، ليرد عليه الفنان محمد عساف، ويمتنع عن

نشر أغنيته الجديدة في اليوتيوب. كانت الحرب الإلكترونية أيضاً حرب "هاشتاجات"، وانضم موقع "جوجل" إلى الحرب وصنفت "الكوفية" رمزا من رموز الإرهاب كعلم داعش والحجاب. يا لهم من عُمْي، ومتطرفين وعنجهيين وعنصريين ودكتاتوريين! أي عالم سيئ هذا الذي صنعوه؟ إنهم شركاء على الدرجة نفسها بما صنعه القصف الوحشي من قتل الأطفال والنساء والمدنيين وأحرقوا الكتب.

ما أشبه اليوم بالبارحة، قبل سنتين كتبتُ على الفيسبوك هذا المنشور الصغير: "تخيلوا العالم العربي والإسلامي والدولي مجمع على قهر الشعب الفلسطيني". نعم إنه الإجماع نفسه الذي يريد للفلسطيني أن ينكسر في الحرب، ولولا الهبات الجماهيرية العربية والدولية لرأيت أنّ "ألسنتهم وخناجرهم علينا". يبدو أنْ لا حل للفلسطيني ولا نصير له إلا هو نفسه.

لا تظني أن الحرب قد انتهت، فقط الصواريخ هي التي قد توقفت، لكن الحرب ما زالت مشتعلة، وها هي كل يومٍ تستعرُ أكثر من اليوم الذي قبله. عاد المحتلون الصهاينة إلى ديدنهم، إلى عنجهيتهم، إلى القتل والاعتقال والمصادرة. تمنيت أن لو لم يتوقف ضرب

الصواريخ، يا ليتهم كانوا حطام تلك الصواريخ. إنهم لا يعرفون معنى الراحة ولا معنى السلام. ولا يريدون لأحد أن يرتاح، إنهم يسعون إلى تدمير العالم، بالفعل إنهم يسعون إلى تدمير العالم.

وأخيراً: لا أريد أن أثقل عليك القراءة والوجع، أتمنى أن أرى منك ما يفاجئني بعد كل هذا الصمت الطويل العمر.

أحبّك. على أمل اللقاء قريباً.

تحياتي الخالصة من قلبيَ المشتاق...

ف. ح

الخميس: 2021/5/27

سلام فراس

قرأت رسالتك بعناية، وكل التفاصيل، وكم تمنيت لو أحصل على كتابك الجديد "استعادة غسان كنفاني"...

غسان كنفاني كان ولا يزال يرعب الكيان، لا الموت يبعد روايات غسان وكتبه عن منبت الأرض، عن رائحة التراب والوطن هذا التواصل والارتباط سيظل إلى ما بعد الموت.

سعيدة جداً برسالتك.

إ. س

الخميس: 2021/5/27

مساء النور يا شاعر،

أتمنّاك بخير هذه الأيام.

شكراً لإرسال الرسالة، والمواد الأخرى. هناك ما أصل إليه فوراً في القراءة، وهناك ما هو مؤجّل، إلى أن أتفرّغ من برنامج القراءة والعمل، برنامج "بس الله بعرفو".

داوِم على كتابة هذه الرّسائل، لأنها جميلة وعفويّة، تناقض نفسها أحيانا، فيها من الأفكار ما يثيرُ حفيظتي، وفيها من العاطفة ما يجذب ومن الأفكار ما يُحترَم. باختصار شفافة وصادقة.

لكنّ أجمل ما فيها، هو ما نجتمع عليه أنا وأنت: يبدو أن لا حل للفلسطيني ولا نصير له إلا هو نفسه.

هذا ما أُقوله دوما وسأظلّ أقوله إلى أن يجد الفلسطينيّ مخرجاً لورطته التاريخيّة والراهنة.

أنا لا أعوّل على أحد إلا على أنفسنا. كلّنا نحنّ هذه البلاد، وكلّنا نبحث عن دواء لجرحها. كلّ على طريقته. أنا، صرتُ أقلّ عاطفيّة في شأننا الفلسطينيّ. نحتاجُ إلى المنطق والعقل والبرود ونحن نفكّر:

كيف نخرج بفلسطين، دولةً حرّة، مستقبل أولادها داخلها، لا في الشتات والمهجر؟ باتَ محزنًا أن نستمع إلى الأغاني، ومغضباً رؤية الركام والإعمار.

نريدُ حلاً يا فراس. حلا نهائياً.

سأقرأ ما أرسلتَ قريبا.

دمت بخير

ر. غ

الخميس: 2021/5/27

ما أجمل ردك! ليتك كنت حبيبتي! (مش تزعلي) مجرد أمنية، إياك تبطلي تكتبي لي ردودك الجميلة؛ إنها تنعشني بالفعل وتمدني بالقدرة على الكتابة والاستمرار، من القلب كل الحب.

ف. ح

السبت: 2021/5/28:

ليه أزعل؟ أنا كريمة وأنت بتستاهل. واصل

ر. غ

خيباتيَ المتوقعة وغير المتوقّعة

السبت: 2021/6/5

أسعدت أوقاتاً أيتها الحبيبة الرائعة، أنتِ هناك وأنا هنا، يا لهذين الظرفين المتناقضين. أكاد أصدق أنهما ليسا نقيضين، وقد أثبتت الأحداث أنهما ليسا نقيضين. اليوم هو ذكرى النكسة، ذكرى هزيمة حزيران، هذه الهزيمة المذلة إلى درجة الخزي التاريخي المزلزل الذي أسقط العرب وتاريخ العرب في حمأة طين لم يفلحوا إلى الآن من التخلص منها، بل إن النظام العربي الرسمي المتعاون مع الدول الكبرى والدلوعة "اللي ما تتسمّى" إلى حد العبودية يغوص أكثر وأكثر في وحول الهزيمة يوميّاً، لا يقف الأمر على التطبيع العلني، ثمة ما هو مخفي أشد جُرماً، ولم تفلح مسرحيات الأنظمة والميلشيات التابعة لها مهما أحرزت من "نصر" أن تمسح عارا واحدا مركباً من هزيمتين اثنتين في غضون تسعة عشر عاماً. يا إلهي، ما أصدق نزار قباني! فهُم من نصف قرنٍ لم يُرجعوا زيتونة أو برتقالة، ولم يمسحوا عن التاريخ عاره، ولن يفعلوها صدقيني، لقد نُصّبوا ليناصبونا العداء، وليخدموا أعداءنا.

لا أخفيك أنني أشعر بالحزن والغضب والرغبة في الانتقام من هؤلاء جميعاً، كلما تذكرت أنني أعيش تحت الاحتلال، ولا أستطيع مثلا أن أتنقل في وطني دون هاجس جندي أو مجندة يوقفني على حاجز طيّار أو ثابت. الجنود صاروا أكثر شراسة واستعداداً؛ إنهم دائمو التصويب علينا من النقطة التي نطل فيها على الحواجز حيث تربض بنادقهم النهمة الباحثة عن فريستها لتزجّي بها وقت الفراغ والملل على الحواجز، تظل فوهة البندقة مصوبة على أفئدتنا ورؤوسنا حتى نمر عنهم ونتجاوزهم. تصوري أنه ممنوع عليك أن تشير بيدك، أو أن تستعمل هاتفك، أو أن تنظر إليهم، عليك أن تمر عن الحاجز وكأنك صنم. إننا بالفعل أصنامٌ لا تهشّ ولا تنشّ، ولا يحق لك أن تبتسم، لأنك ستعرض نفسك ومن معك في السيارة إلى الانتقام المباشر، إذا ما تحرك الحسّ الأمنيّ لهذا الجندي المتربص بحياتنا. ما هي إلا صلية رصاص واحدة يفرغها في أجسادنا وينتهي أمرنا، لنصبح خبراً في شريط أنباء العواجل الفضائية. يا له من مصير أسود متوقع كل يوم، كلما مررنا عن حاجز ملعون!

أرأيتِ مفاسد النظام العربي والسلطة الفلسطينية؟ جعلونا مجرد كائنات لا قيمة لها. إننا أرخص من "فشقة"، هذا وضع محزن جدا،

ويفقد المرء الإحساس بقيمته، يدفع العاقل فينا أن ينتحر، هل سمعتِ كما سمعتُ أن الشاعر تميم البرغوثي قد حاول الانتحار ولولا ابن خالته لصار خبرا عاجلاً، لم أرَ ذلك في الأخبار، قرأته في منشورات الفيسبوك أمس، وعثرت اليوم صباحا على ما كتبه تميم نفسه على صفحته في الفيسبوك. إنه يبدو حزيناً جدا ومرهقا كما قال، والذي لا يفهم مما كتبه: كيف يشعر باليأس فينتحر، ويطالب قراءه ألا ييأسوا ويواصلوا مشوار الحياة؟ كان الأولى به أن ينصح نفسه، أليس كذلك؟ ثمة تناقض عجيب عند هذا المنتحر. رسائل المنتحرين الحقيقيين لا تكون بهذه الكيفية. هكذا أتصوّر.

بدا لي الأمر غير مهمّ بعد أن قرأت ما كتبه. على أيّ حال، لقد انتحر قبله وحاول ذلك كثيرون بسبب سوء الأحوال السياسية الضاغطة، كخليل حاوي وتيسير السبول. إن العاقل العاجز أفضل له أن يموت من أن يعيش الذل يوميّاً. لقد سبق وقلت لك إن الشخص المنتحر شخص شجاع، إننا نحن الجبناء. لعلك اطلعت على مقالتي حول الانتحار، وقد نشرتها قبل مدة في صحيفة الرأي الأردنية. ولو عدت إلى قراءتي لرسائل المنتحرين كما وُجدت بعد انتحارهم لعرفت حقيقة خبر انتحار تميم البرغوثي. على كلّ،

الحياة ليست بحاجة أحد مهما كان، نحن الذين بحاجتها، ولذلك علينا أن نقاوم.

وها أنا أقاوم رغما عن كل البؤس الذي نحياه. هذان اليومان مزدحمان بالنشاطات. الجمعة، كان هناك حفل توقيع دعيت لحضوره عبر زوم، وهذا اليوم، استئناف لبرنامج "أسرى يكتبون"، بلقاء يبثّ من عمّان حول كتاب لأسيرة محررة. من المتوقع أن أشارك فيه بمداخلة ثانوية حول "الأسيرات الكاتبات". الفكرة في رأسي منذ مدة، ولم أكتبها، لكنها حاضرة وجاهزة للكتابة. كما أنني دعيت لأمسية شعرية عبر الزوم أيضاً تحت عنوان "غزة وفصل الخطاب".

أعجبني العنوان الذي يؤطر الأمسية، عدا أن الدعوة بحد ذاتها مهمة بالنسبة لي، وتثير فيّ ذكريات جميلة، وتعيدني إلى الوراء أكثر من خمس وعشرين سنة، حيث كنت منذ بداياتي في الكتابة منضويا تحت عباءة "الإسلاميين"، وكنت واحدا من شعراء رابطة أدباء بيت المقدس التي اشتركت في كثير من اجتماعاتها في مدينة نابلس. هذه الرابطة هي المنظم لهذه الأمسية التي سيشترك فيها شعراء آخرون وشاعرة واحدة فقط.

هذه الدعوة آتية من هذه الرابطة التي ساهمتُ أواخر التسعينيات في تأسيسها مع الصديق الشاعر رمضان عمر، والمحاضر في جامعة النجاح آنذاك المرحوم الدكتور جبر خضير، وآخرون بالطبع. هناك تعرفت على شعراء الحركة الإسلامية وكتّابها ومجلاتها وصحفها، وكنت واحدا من هؤلاء الكتّاب، ونشرت في منابرهم الورقية وكان من أهمها صحيفة الرسالة، إذ كانت الصحيفة قد نشرت لي أول النصوص منذ زمن بعيد قبل شيوع البريد الإلكتروني، وأذكر أنني بعثت القصيدة من خلال "الفاكس" بخط اليد، ولم تكن واضحة بما يكفي، فنشروا في الصحيفة في صفحة "الثقافة" ما يشبه الإعلان أن عليّ أن أرسل القصيدة واضحة مرة أخرى، وهكذا كان، ونُشرت في العدد القادم بتعديل طفيف أذهب شيئاً من مضمونها، كان ذلك في أواسط التسعينيات على ما أعتقد.

عليّ الاعتراف يا عزيزتي أن تلك المنابر هي التي صنعتني، وكرّست اسمي كاتباً فلسطينيا، فصحيفة الرسالة التي تصدر من غزة، وكانت توزع في الضفة أيضا إلى أن منعتها السلطة بعد أحداث 2007. واظبت على النشر فيها، وكنت أتابعها أسبوعيا، من خلال الموقع الإلكتروني، وألتقط منشوراتي فيها باستمرار، إلى أن حجبت

السلطة أيضا الموقع في الضفة، فلم يعد باستطاعتي متابعة الصحيفة، ولم أدر هل واظبوا هم على النشر لي أم لا، لكنني لم أمتنع عن إرسال موادي الأدبية ومقالاتي السياسية لهم حتى الآن.

وبالإضافة إلى صحيفة الرسالة كان هناك أيضا في أم الفحم صحيفة "صوت الحق والحرية"، وكنت دائم الحضور فيها، فلم يكد عدد من أعدادها الذي يصدر صبيحة كل جمعة يخلو من مادة لي، وظلت كذلك إلى أن تم شمعها بالشمع الأحمر بقرار من سلطات الاحتلال، كونها تابعة للحركة الإسلامية، الجناح الذي لا يرضي الاحتلال.

لقد رعتني الحركة الإسلامية رعاية حقيقية، واحتضنتني قبل أن أفكّ الارتباط بيني وبينهم، ولهذا الأمر قصة أخرى ربما حدثتك عنها لاحقاً. ما يهمني الآن هو أن أدعوك لحضور الأمسية، على الرغم من أنها ستكون "خارج ذائقتك الأدبية"، فأنا أعرف كيف يكتب شعراء الحركة الإسلامية، بل وكيف يفكرون؟ فقد كنت أقرأ "لنا" كل شيء في حينه. ما سيفاجئك ربما أنني أحتفظ من تلك الحقبة في ذاكرة الكتابة الكثير من القصائد، لها سمات "الشعر الإسلامي" الحديث، شعر الفصائلية الإسلامية، أقصد ما يعرف بأدب

"الصحوة الإسلامية". وأنّني سأقرأ من تلك القصائد، وليس من قصائد "حداثتي" الشعرية، سأعود كلاسيكيا أيديولوجياً مباشراً، وأحث على القتال، وسأشهر العديد من السيوف، وسأفجر الكثير من القنابل الكلامية.

إنني بالفعل أحنّ إلى نفسي التي كانت يوماً ما هناك، وأحبني حيث كنت "إسلاميا"، وإنني أكره فوضويتي الحالية، وتأرجحي الفكري بين العدمية والضباب. يا ليتني بقيت هناك! أنا اليوم شاعر بلا جماعة، أبني مواقفي كشخص منفرد معزول ومهمل، أقف وحيدا ليس معي غير ذاتي. أود لو كان معي غيري، أو أنني كنت معهم. شيء داخلي يهجس بي إنني ضائع وعديم الفائدة، فالأدب لم ينقذني من عشوائيتي، وجماعة المثقفين مجموعة شلل متناحرة لا يعوّل عليها، فلا أفضل من أن تكون قوياً مع من ينسجم مع أفكارك. أنا جئت إلى وسط ثقافي هو عفِنٌ في مجمله، وليس له شخصية واضحة، سيئ في علاقاته، وفي أفكاره، وفي منطلقاته، بل إنه لا يشكل كلا متجانساً، وليس له أرضية فكرية أو فلسفية يقف عليها، تغلب على أفراده النفعية والانتهازية والأنانية والشللية الضارة، ولا يوجد فيه التكتلات المبنية على الفكر أو التنظير الفلسفي أو النقدي

كجماعات أدبية معروفة تركت بصمتها التاريخية، كجماعة الديوان أو أبولو أو أي جماعة أدبية عرفت في تاريخ الأدب شرقا وغرباً. لقد خاب ظني كثيرا فيهم، فحجبت نفسي عنهم، وكرهتهم، ولم أعد أنظر إليهم على أنهم "محترمون". لا حاجة لأقول لك إن هناك شواذّ، لا شكّ، ولكنهم مثلي ضائعون، والضائعون لا يفلحون في تشكيل تكتلات، سيكون مُخرجُهم ضائعاً بلا هدف، وسيحارَبون بلا أدنى ريب.

أستميحك كل العذر في أن تسمعي مني هذا الذي سأقوله أيضا كشاهد على واحدة من خيباتي غير المتوقعة. لقد التزمت منذ شهور على أن يكون لي مقال شهري في صحيفة فلسطينية، بحيث تنشر المادة في الصحيفة أولاً، ثم في الموقع الإلكتروني للصحيفة بعد ذلك، وهكذا تمّ الأمر، وكما تعلمين يطلبون أن تكون المادة حصرية، لقد التزمت، وكنت أرسل لإدارة الصحيفة مقالا لم ينشر سابقاً. وهذا النشر مجانيّ أيضاً، ولكن الصحيفة، هكذا ودون حتى أن تعتذر لم ينشروا المقال الأخير لهذا الشهر، وتفاجأت أنهم نشروا لكتّاب آخرين، كانوا غائبين عنها طوال تلك الفترة التي نشرت فيها، لقد عاد شهر العسل بين الصحيفة وهؤلاء الكتاب على ما يبدو،

وأنا أصبحت خارج اللعبة، ببساطة، حتى دون أن تكلف الإدارة نفسها عناء الاعتذار.

ربما تقولين: لماذا على الصحيفة الاعتذار؟ نعم عليها الاعتذار؛ لأنها اتفقت معي لتنشر لي، بشكل رتيب في كل عدد. وعندما يحدث مثل هذا دون إعلام وترك تبرير فالمسألة ساعتئذٍ غير أخلاقية بالمطلق. لقد شعرت بالتفاهة حقاً، تافه إذ ركنت إلى هذا الوسط الثقافيّ العفن التافه.

وهذه الخيبة ليست أولى الخيبات، بل خيباتي كثيرة مع اتحاد الكتاب الفئويّ التوجه والعمل، ومع وزارة الثقافة التي لم تقدم لي شيئا منذ أنشئت وحتى الآن، مثلها في ذلك مثل اتحاد كتابنا الفصائلي البائس، فهؤلاء يتجاوزونني بكل ما أوتوا من بلادة وصفاقة وسخافة. عدا العلاقات هنا وهناك مع آحاد "الأدباء" النفعيين الذين لا يعرفونك إلا إذا كانوا يريدون أن تخدمهم مجاناً، و"رجلك فوقك راسك"، بل عليك أن تشكرهم أيضا، لأنهم أعطوك فرصة أن تخدمهم! عدا الخيبات التي أصبحت تعرفينها من دور النشر. فها هو الوسط الثقافي كله يسبح في محيط من التفاهة والعفن.

فيا لها من خيبات بليغة الرسالة، سياسية، وثقافية، وذاتية. فهل تظنين أننا نعاني من نكسة الخامس من حزيران، أو من نكبة الخامس عشر من أيار فقط. بل إن نكساتنا اليومية أشد ألما وأوجع جرحاً. ولن نكون قادرين على تجاوز النكبتين الكبريين إلا إذا أصبحنا غيرنا الآن. لكل ذلك أحب "الإسلاميين"، وأحنّ إلى عهدهم، فهم لم يخيبوا أملي يوماً، بل إنني أنا الذي خيبت أملهم مرات عديدة، على الرغم من أنني "حسنة" من حسناتهم، فلهم كل الفضل في أنني تجاوزت فقري، فتعلمت، وعملت، وتابعت الكتابة.

عزيزتي، وحبيبة عمري، لقد ثرثرت كثيراً، لذا فإنني معتذر، وأرجو أن تسامحيني على أن أخذت منكِ وقتاً طويلا في قراءة هذه الرسالة "الحقودة" "الحاقدة" الطويلة، إنها كانت "أغنية في البال" يا حبيبةُ عني وعن البلد، وكان عليّ أن أغنيها. فسامحيني

لك المجد والألق والحب. منتظراً ما تفيضين به عليّ من لغتك وجمال سحر شهيّ سردك الممتع. فلا تجعليني أنتظر كثيراً، "كأن الريح تحتي". لقد سرني جداً حوارنا أمس وإن كان قصيراً، وهذا الدفق من اللغة الحية المكللة بالحب والشوق والقبل التي أغدقت

بها عليّ إلى درجة أنك حركتِ كلّ شيء فيّ؛ كأنك معي، بل كأننا في التحام واضطرام وهيام.

أحبّك حتى تنفد اللغةُ من أبجديتها! فها أنا بالانتظار فلا تجعلي الوقت أطول من قدرتي على الاحتمال.

الأحد: 2021/6/6

قرأت رسالتك التي أرسلتها البارحة... رسالة شمولية أحب كتاباتك خارج التأطير الإسلامي، رغم أنك تشتاق لتلك الفترة... ربما عرفت كتاباتك بعد إصابتك بحالة الفوضى والوحدة والضياع كما تصفها... هذه الفوضى والوحدة هي التي عملت من فراس شاعراً بحسّ آخر. شاعراً استثنائياً، شاعراً يرسم طريقه في عالم جديد.

إ. س

يا ليتكِ كنت معنا

الأحد: 2021/6/6

صباحك السعد ومساؤك الفرح البهيّ، أما بعد:

"وجوه يومئذٍ مسفرة، ضاحكة مستبشرة"، هكذا كنا في الأمسية الشعرية الزومية الليلة الفائتة، كلنا كنا ضاحكين ومبتسمين، حتى تلك الشاعرة المنقبة كنت أرى ابتسامتها هي أيضاً من وراء حجاب. لقد أحزنني أنك لم تحضري الأمسية، ولو من بعيد البعيد، أعرف أن لك مشاغل تجعلك أبعد ما يكون عن مثل هذه الأنشطة، لكنني كنت طماعاً ومشتاقا لحضورك.

كانت ساعة من زمن، ربما زادت قليل دقائق لا أكثر، كان الجميع باسمين مستبشرين، وكيف لا يستبشرون وقد جاءوا محتفلين ومغنين ومنشدين لغزة أبهى قصائدهم؟

ما لفت انتباهي في كل قصائد هذه الليلة أنها كانت قصائد كالوجوه المستبشرة، قصائد فيها الأمل والروح العالية، يكاد يضحك الإيقاع فيها، وتبتسم الصورة والجملة الشعرية، وتركز على الجانب

الإنساني من الحرب. صحيح أنها جولة، ولم تنته المعركة، ولكن، كما قيل إنها بداية ويبنى عليها.

لقد خفتَ الصوت العالي، فلم نفجّر قنابل ولم نشهر سيوفاً كما كنت أتوقع، هل تغيّر الشعراء الإسلاميون كما تغيرتُ أنا. ربما، فهم يقرؤون ويتأثرون بلا شك.

كنت أخطط أن أقرأ الكثير من القصائد، كنت أريد أن أعود إلى الوراء لأقرأ قصيدة كتبتها رثاء للشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، فالمؤسسون لهم الفضل الأول في كل شيء. وأعددت مع قصيدة "الشيخ ياسين" قصائد متعددة من ديوان "مزاج غزة العاصف"، هذا الديوان الذي كتبته أيام حرب عام 2014.

لقد كتبت في هذه الحرب ثلاثة نصوص، شعرت أنها لا تناسب أمسية شعرية كهذه توقعت أن يكون لهذه الأمسية شكل مختلف وإيقاع ناريّ حربجيّ. فعدت من أجل ذلك إلى قراءة ما كتبته عن تلك الحرب في الديوان، وإذا به كأنه يتحدث عن هذه الحرب، فالحرب هي الحرب، مآسيها وويلاتها هي هي، حتى القاموس اللغوي المستخدم إعلاميا وثقافيا هوَ هو يدور في فلك الحرب ومفرداتها والقتل والدمار والآليات العسكرية بمقابل قاموس فلسطيني عربي إسلامي

فيه الثبات والمقاومة والشهادة والشهيد والجريح والبيت المهدوم والطفلة المغتالة والأحلام المهدورة. ناهيك عن مفردات الخطاب السياسي لسياسيين يمارسون البلادة وهم ينظر إلينا ونحن نموت يومياً.

لكل ذلك، يا عزيزتي، قررت أن أقرأ من هذا الديوان وأعددت منه خمس قصائد، ولكنني تفاجأت أن المنظمين قد خصصوا فقط "خمس دقائق" لكل شاعر. يا للإحباط! خمس دقائق، على أي حال وكما قال القرآن الكريم عن سيدنا يوسف "فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم". ماذا سيقول الشاعر في خمس دقائق؟ لم أشأ أن أنسحب ولم أفكر بالانسحاب أصلا، لأن مشاركتي في هذه الأمسية تعني لي الشيء الكثير، فألقيت قصيدة "هل رأيت الله؟" هذه القصيدة التي أحبها جدا. إنها لا تبحث في الحرب بقدر ما تبحث في سؤال الحرب، قبل الحرب وأثناءها وبعدها. هذه هي المرة الثانية التي ألقي هذه القصيدة في أمسية شعرية. وأنا في العادة لا أكرر القصائد، فلا أعود لأي قصيدة ألقيتها في أمسية شعرية لألقيها في أمسية أخرى.

لعلك لم تقرئي الديوان يا عزيزتي، وحتى لا أضعك تحت مغبة الشغف والطلب لقراءتها، فستكون مع هذه الرسالة في آخرها. أرجو أن تعجبك، وأن أقرأ لك رسالة حولها، لكن دون أن تتحولي إلى ناقدة، فأنا أشد ما أكره أن تتحول الحبيبة إلى ناقدة. أحبك متذوقة شعري كما تتذوقين القبل، وتستمتعين بالقراءة كاستمتاعك بممارسة الحب في سرير شهوتنا العارمة.

عزيزتي وغاليتي، أرجو أن يأتي يوم ألقي الشعر بين يديك في أي ظرف كان، سواء ونحن معاً في لقاء ما، أو حضورا في أمسية شعرية، فأنا أحب أن ألقي الشعر وأنا أنظر إليك، قارئا ملامح وجهك وابتسامتك التي تعطيني النشوة في الشعر والحب والحياة.

أحبك ملهمة لأشعاري، وقارئة لها. وأحبك أكثر وأنت كل جمهوري الذي يستمع إليّ في نشوة وشهوة وجمال.

ف. ح

الفهرس

المقدمة 5

القراءات النقدية 9

الكاتب بين مطرقة تأثير الهالة وسندان النقد 11

وقفة مع كتاب "الثرثرات المحبّبة – الرسائل" 20

الإثراء الثقافي والثراء الإنساني في كتاب "الثرثرات المحبّبة-الرسائل" 28

سيميائية الغضب وهيكلية النفس المقموعة 59

اللسع الحامي للثرثرات المُحبَّبة لفراس حج محمد 75

الخطوط الشائكة بين الأيروسية والدينية في الثرثرات المُحببة 101

الكتاب في الصحف وفي ذاكرة الذكاء الاصطناعي 129

150 «ثرثرة محببة».. إصدار جديد في أدب الرسائل 131

رسائل الكاتب فراس حج محمد في كتاب جديد 134

الكتاب كما تراه خوارزميات الذكاء الاصطناعي 138

رسائل لم تسقط سهواً 149

لماذا أكتبُ لك عن الجزائر؟ 151

العيد في فلسطين غير والله غير 158

إنّه لنهار مختلف 165

"إنتِ وأنا يا رَيْتْ عِنّا بَيْتْ" 172

نحاربهم أيضاً بالأغاني والهاشتاج 179
خيباتيَ المتوقعة وغير المتوقّعة 186
يا ليتكِ كنت معنا 197
الفهرس 201

تنبع أهمية هذا المنجز النقدي الجماعي المعنون بـ "الإضافات المُسهبة في الثرثرات المحبّبة: قراءات في الرسائل"، كونه صدىً نقدياً، وتحليلاً تفكيكياً، ومحاولة جادة لسبر أغوار تلك التجربة الرسائلية المثيرة للجدل، ولم يكن هدف النقاد والكتّاب المشاركين في هذا الكتاب التفتيش في السيرة الذاتية للكاتب أو الوقوف السطحي عند الشغف الأيروسي الذي طفحت به بعض الرسائل، بل تجاوَزُوا السطحَ إلى العمق؛ لتفكيك أبعاد النص المعرفية، والنفسية، والبنيوية، والجمالية، والسياقية.

جميع حقوق الطبع محفوظة لدار النشر من فلسطين وحدودها العالم

ناشرون فلسطينيون
2026